الفجر الأول

شعر : خليل شيبوب

إعداد وتقديم : عبدالرحمن حجازي

المجلس الأعلى للثقافة

المجلس الأعلى للثقافة

الفجر الأول

شـعـر : خليل شيبوب
مقدمة نثرية بقلم : خليل مطران
ومقدمة شعرية من نظم : أحمد شوقى بك
إعداد وتقديم : عبد الرحمن حجازى



٢٠١٠

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

شيبوب، خليل.، ١٨٩١ - ١٩٥١
الفجر الأول؛ تأليف: خليل شيبوب؛ مقدمة نثرية بقلم: خليل مطران؛
مقدمة شعرية من نظم : أحمد شوقي بك.. إعداد وتقديم : عبد الرحمن حجازى .
القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠١٠،
٢٥٦ص؛ ٢٤ سم.
١ - الشعر العربى - تاريخ - العصر الحديث
٢ - الشعر العربى - دواوين وقصائد
(أ) خليل مطران ، خليل بن عبده بن يوسف مطران ، ١٨٧١-١٩٤٩ (مقدم)
(ب) أحمد شوقى ، أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى ، ١٨٦٨ - ١٩٣٢
(مقدم مشارك)
(جـ) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع ٢٠١٠/٧٨٤٢
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 704 - 038 - 9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأى المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤.

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.
Tel. : 27352396 **Fax** : 27358084.
www.scc.gov.eg

الإهـــداء

إلى أ... أ... أ...

غ. ش.

تقديم
خليل شيبوب
رائد من رواد التجديد فى المدرسة الرومانسية

عبد الرحمن حجازي

الشعر - بصورة عامة - فن من الفنون الأدبية ، وشكل من أشكال الوعى الإنسانى للعالم ، وانعكاس للتجارب الشخصية فى هذه الحياة .

غير أن هذا الوعي من خلال شتى الممارسات العملية لتفهُّم الواقع عبر مختلف المراحل والأطوار ، تمثَّل فى أشكال عدة واتجاهات متباينة . ولكنه كان أبدًا على اتصال بالواقع ، ولولا الأنظمة التبعية ما كان أدب الترف ، والمجون ، والفروسية ، ولولا الثورة الصناعية ما كان الأدب الرومانسى ، ولولا الاستعمار وما جرَّه على العالم من مآسٍ ودمارٍ ما كان أدب القلق والخوف والهزيمة ، ولما تآمرت القيم المادية على القيم المعنوية فى حياة الإنسان .. وما كان الأدب الواقعى يتجه إلى الإنسان والمجتمعات لولا وعى الناس لأسباب بؤس واقعهم التعس ومآسيه ، ولولا انتفاضاتهم المتتابعة لما تمَّ تطوير حياتهم ، وزحزحة كل عقبة تحول دون تقدم المجتمعات .

فى كل عصر ، وفى كل مرحلة تاريخية ، ثمة وعى ، ثمة فهم للعالم ، يحاول من خلاله الإنسان أن يعبر عن موقفه إزاء الكون . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الحياة تتطور ، والوعى الإنسانى يرتقى ويتغير نتيجة لتطور الحياة نفسها ، ولهذا اختلفت المواقف الفكرية باختلاف الأطوار فى سُلَّم الرقى والتقدم .

ولكن لكل طور حقائق ثابتة ؛ ومعنى ذلك أن كل طور جديد يستطيع أن يفيد من الخبرات والإنجازات التى تحققت فى طور سابق وأسبق . ومن هذه النقطة نستطيع

أن نتفحص شيئًا مهمًا يتعلق بالفن . إن الفن مهما كان مجدداً، لابد أن يحمل فى طياته شيئًا من آثار الماضى التى تمثلت فيها بعض المواقف الإنسانية النهائية ، مواقف تخطت عصرها إلى عصر آخر .

إن مفهوم التجديد يتحدد ويتكامل فى التلاحم القوى والترابط الحى بين الأشكال والمضامين الجديدة .. وفى الأدب العربى الحديث كانت الحركة التجديدية فى الشّعر تتلمس طريقها عبر تراثٍ هائل .

فى بداية القرن العشرين قيّد اللّه – سبحانه وتعالى – للشعر العربى الحديث مواهب كبيرة انتشلته من وهدة السقوط ، وأعادت له بعض شبابه ، وسرت فيه أصداء الفحولة ، ودفعته إلى سبيل النهضة العربية الحديثة ، وربطته بسلاسة الشعر العربى القديم والابتعاد عن التعقيد اللفظى ، والتعبير عن التجارب الذاتية ، والتطرق إلى الموضوعات المبتكرة ، وتصوير البيئة الطبيعية ، وبذلك كوّنوا اتجاهات فنية متنوعة ومدارس شعرية مختلفة ، أثّرت أيما تأثير فى تطوير القصيدة العربية الحديثة .

لقد نجح محمود سامى البارودى (١٨٣٩–١٩٠٤م) أكثر من غيره فى تجديد شباب الشعر العربى، فلُقِّب بـ "رائد الشعر العربى الحديث" ، ونجح أحمد شوقى (١٨٦٨–١٩٣٢م) أكثر من غيره فى إعادة الشعر العربى للحياة مرة أخرى ، فلُقِّب بـ"أمير الشعراء" ، واستطاع خليل مطران (١٨٧١–١٩٤٩م) أن يبلور رؤيته الشعرية بصورة أكثر نضجًا من خلال صياغة شعرية جديدة ، فلُقِّب بـ" شاعر القطرين " ؛ حيث ازدهرت الرومانسية على يديه ، و تبلورت أحوالها الشعرية ، و تفاعلت مع روح العصر وتطور المجتمع ، وأثبتت قدرتها على تجديد القصيدة العربية شكلاً ومضمونًا ، بل أثبتت قدرتها على تجديد نفسها من آنٍ إلى آخر .

أما الشاعر خليل شيبوب (١٨٩١–١٩٥١م) فقد سطع بنجمه فى عالم الشعر ، واتسع نشاطه الأدبى فى المحافل الأدبية والثقافية بالإسكندرية ، وأصبح يُلقى كثيراً من المحاضرات فى التاريخ والتراث العربى والحركة الأدبية الحديثة فى مصر ،

وانتظم منذ عام ١٩٢٠م محرراً للصفحة الأدبية بجريدة "البصير" السكَّندرية بعنوان "بريد الثلاثاء" ، وانتشر إنتاجه في الصحف والمجلات المصرية مثل : البصير ، والأهرام ، والرسالة ، وأبوللو ، والمقتطف ، وفي غير المصرية مثل : "الحديث" في حلب ، و"المهذب" بسوريا ، ... وغيرها . وقد كتب شيبوب أشعاراً كثيرة انتشرت نغماتها في الإسكندرية والقاهرة ، إلا أنه جمع بعض ما نظم فيها بين سنة (١٩١٢ - ١٩٢٠م) في إحدى وتسعين قصيدة ومقطوعة مختارة في ديوانه المطبوع عام ١٩٢١م بعنوان "الفجر الأول" . وقد ظهر الديوان مُصدَّراً بمقدمتين نثريتين إحداهما للشاعر خليل مطران ، والثانية لصاحب الديوان يشرح فيها مذهبه الشعري ، و بين المقدمتين قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي بعنوان "الشعراء" .

ولا عجب أن تأثر خليل شيبوب بمدينة الإسكندرية أيما تأثير ؛ فهي عروس البحر المتوسط بما حوته من جمال وبهجة وطبيعة خلابة ، كما أن البحر وهبها وشعراءها بعض الأسرار والكنوز الخالدة ، يحاول كل شاعر سكندري أن يصل إلى سحر إبداعها ، وإعجاز فنونها عبر أمواج البحر وتناغم الثقافات وتلاقي الحضارات عبر التاريخ . إن الإسكندرية غزت روح شيبوب وسلبت لُبَّه بما امتلكته من قوة مبدعة وفتنة قوية تدفعه دائمًا إلى عالم الخيال و الجمال ؛ لذا صارت لشيبوب علاقة حميمة خاصة بينه وبين هذه مدينة جعلته يستغني بحبه لها عن بقاع الدنيا كلها :

أشواطئ الإسكندرية طيب	فيك المصيف لعاشق ولهان
هجر البيوت إليك محرقة اللظى	إذ شُبَّ فيها القيظ كالنيران
يا مربعي دون المرابع إنني	دون المرابع واله بك عاني
وأتاك يحمل حبه وغرامه	مُستقيلا في ظلك الفنان
أنسيتني وطني البعيدَ وإنما	هو أول وأنت الثاني
لكنما فيك الحبيب وإنني	وطن الحبيب أحب من أوطاني (٢)

ولا غرو فى أن تكون لشيبوب علاقة خاصة ومكانة حميمة بينه وبين البحر ؛ فهو نديمه الأثير فى غربته عن وطنه سوريا حيث مدينة اللاذقية على شاطئ البحر المتوسط أيضًا ؛ فكان طبيعيًا أن يختار شيبوب الهجرة إلى الإسكندرية ؛ ففيها الطبيعة الجميلة التى نشأ فى ظلها ، وفيها الماضى التليد الذى ظل يبعث فى نفسه الإعزاز والفخار ، وعلى شاطئ يرقد البحر عميقًا فى كبرياء كأنه المجهول فى عمقه وسعيه وسكونه ؛ لذا فهو عندما يجلس على البحر يأنس إليه وينادمه ، ويستمد منه الإلهام ، واثقًا أنه صديقه الصدوق الذى يشاركه أفراحه و أتراحه :

جلستُ وجفنى جارياتٌ سواكبه	إليه أشاكيه الأسى وأغاتبه
وأسأله عن سائلات مدامعى	وما الدمع إلا خيره ومواهبه [٣]

فالشاعر هنا يلجأ إلى البحر كلما ضاقت به سُبل الحياة ، وألحَّت عليه الهموم والمصائب ؛ فالبحر دائمًا – بالنسبة لأهل الإسكندرية – الصدر الحنون والأم الرؤوم التى تحنو دائمًا على أبنائها عندما تكدرهم لقمة العيش ويحوطهم الأسى ، فيصبح البحر ملاذهم الذى يطهرهم من كل هَمٍّ وحزن ، أو آلام ومواجع .

من هنا ، فإن خليل شيبوب تهيأت له فى الإسكندرية بيئة جديدة ، بين الشرق والغرب ؛ فهى مدينة تُولى وجهها شطر أوروبا ، وتمد ذراعيها إلى شرق العالم العربى وغربه ، فتمتاح من هذه المنابع جميعًا ثقافات متباينة تمزجها بتراث عريض أصيل لتخرج لنا نتاجًا جديدًا ؛ فهى بيئة نشأت فى أحضان الثقافات القديمة من حيث لغتها ودينها وأدبها وقيمها ، ولكنها اتصلت بالأفكار الأوروبية التى هزَّت رواكد النفوس ، وفتحت أغلاقها ، وأبانت ألوانًا من العواطف والأخلاق والمشاعرالتى غفل الناس عنها طويلاً ، فصنعت لنا بيئة جديدة أفرزتها هذه العوامل" [٤] ، وبذلك كله استقامت لشيبوب كل الأدوات الشعرية من بيئة طبيعية جديدة ، وثقافات متنوعة ، وتيسَّرت له اللغة ، فراح ينهل من كل هذه المنابع وغيرها ، فنجده – مثلاً – قد قرأ شعر لامارتين ، وأجاد شعر فيكتور هوجو ، وأخذ من ألفريد دى موسيه صوره البديعة ، وتشبيهاته الباهرة ، وإيقاعه الموسيقى الجميل ؛ فانظر إليه وهو يقول :

ألا ليتني وحبيبة قلبي — في روضةٍ أُنُفٍ زاهره

فنمشي أُطوِّقها بالذراع — وأنشُقُ أنفاسهَا العاطره

يسيرُ كذلك جنبًا لجنبٍ — وعيني إلى عينها ناظره

فأقرأُ في وجهها للطبيعةِ — أكبرَ آياتِها الساحره

وتُعقد من فوق هاماتنا — مظلاتها الأغصنُ الناضره

ونلعبُ في المرجِ مستأنسين — بصوتِ عصافيره الطائره

تُقبل أذيالها الزاهراتُ — وهي بتقبيلها فاخره (٥)

فالشاعر هنا يحلم – كما كان يحلم هوجو- بأن يصحب حبيبته إلى جنة الرياض يقضيان فيها أجمل الأوقات بين مفاتن الطبيعة وآياتها الساحرة ، وينهلان من رحيق الحب ، ويستنشقان عبير العشق والغرام ، ويعيشان فى سعادة وهناء .

التجديد فى شعر خليل شيبوب :

يعد خليل شيبوب رائداً من رواد المدرسة الرومانسية فى الشعر العربى الحديث ، وهى المدرسة التى خلفت مدرسة الإحياء (البعث) ، والتى بقيت امتداداتها على طول الزمان ، ممثلة فى شعراء كثيرين يفضلون التطور والتجديد فى الشعر . إن خليل شيبوب يفهم الشعر فهمًا رومانسيًا أيضًا ؛ فهو يقول الشعر للتعبير عن خلجات نفسه ؛ حيث يرضيها بما يجدد نشاطها ، ويعبر عن روحه فى بهجتها وأفراحها أو فى همومها وأحزانها ؛ فالشعر عنده – كما قال ميخائيل نعيمة – " قوة حيوية ، قوة مبدعة ، قوة مندفعة دائمًا إلى الأمام . هو غلبة النور على الظلمة ، والحق على الباطل . هو ترنيمة بلبل ونوح الأرق ، وخرير الجدول وقصف الرعد . هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى وتورد وجنة العذراء وتجعد وجه الشيخ .

هو جمال البقاء و بقاء الجمال . الشعر لذة التمتع بالحياة والرعشة أمام وجه الموت . هو الحب و البغض ، و النعيم و الشقاء . هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوى . الشعر ميل جارف وحنين دائم إلى أرض لم نعرفها ولن نعرفها . هو انجذاب أبدى لمعانقة الكون بأسره والاتحاد مع كل ما فى الكون من جماد ونبات وحيوان . هو الذات الروحية تتمدد حتى تلامس أطرافها أطراف الذات العالمية. وبالإجمال الشعر هو الحياة باكية وضاحكة ، وناطقة وصامتة ، ومولولة ومهلهلة ، وشاكية و مسبحة، ومقبلة ومدبرة " (٦) .

لقد دعا شيبوب إلى التجديد فى بناء القصيدة العربية الحديثة ؛ حيث دعا إلى الوحدة العضوية ، وهى الوحدة التى تجعل القصيدة كلها دفقة شعورية وتصويراً للحظة شعورية محددة ، وتجعل منها كُلاً مترابطًا قد صبغه لون شعورى ونفسى وروحى معين ؛ مما يؤدى إلى توافر التجربة الشعورية الصادقة ، " وتصبح الصورة الشعرية – كما يرى كولريدج – معياراً للعبقرية الأصلية حين تشكلها عاطفة سائدة أو مجموعة من الأفكار والصور المترابطة أثارتها عاطفة سائدة ، وحينما تتحول فيها الفكرة والوحدة والتتالى إلى لحظة وحدة ، وحينما يُضفى عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية " (٧) .

من الطبيعى أن يدعو شيبوب إلى التحرر من القوالب القديمة الجاهزة ، ويرفض الأغراض الشعرية بنمطها التقليدى ، فلابد من الاستجابة إلى نداء النفس والوجدان ، وإلى ضرورة توافر التجربة الشعرية التى يستند فيها الشعر إلى موقف عاطفى واحد ، وإلى " الوحدة الفنية التى تقتضى ترابط الأبيات بحيث يُمسك بعضها برقاب بعض أو تُسلم نهاية كل بيت إلى بداية البيت التالى ، فيتحول التتالى والكثرة إلى وحدة واحدة تشكلها عاطفة سائدة ، فتنشأ عن ذلك صورة كلية تثير فينا رؤية خاصة وموقفًا محددًا " (٨) . وبذلك يصبح الشعر عنده مرآة الشعور التى لا تعرف الثبات ولا الوقوف على حالة واحدة جامدة ، شأنها فى ذلك شأن الطبيعة من أفلاك وأكوان ؛ فيجب

ألا يعرف الشعر ألفاظًا بعينها أو تراكيب كان القدماء قد كرروها مرارًا وتكرارًا أو أوزانًا حملوها فوق طاقتها :

والشعر مرآة الشعور ووحيه ... في القلب لا في اللفظ والأوزان
وهو الطبيعة باختلاف فصولها ... وتقلب الأفلاك والأكوان [٩]

إلا أن التجديد لا يعنى رفض القديم كليةً ، وإنما التجديد عند شيبوب مرتبط بالقديم ومتصل به وليس منبتّ الصلة عنه تمامًا ؛ فهو تجديد لا يهدم القديم أو يحطم الصروح الأدبية الراسخة . إنه تجديد له جذوره وأصوله التاريخية :

سيروا على نهج الذين تقدموا ... مستثمرين مزيدهم بمزيد
لا تقطعوا صلة القديم ولا يقم ... هذا القديم لكم مقام قيود
تبلى أساليب الرجال وإنما ... يبقى الصريح وما سواه يودى
فهو النواة لفارس متعهد ... وهو الأداة والمؤثر التشديد
تتشابك الأجيال في حلقاتها ... منظومة في الدهر نظم عقود
متعاقبات في المسير كأنها ... رتل قوافل في مرامي البيد
ما أنتم في الدهر بدع إنكم ... أبناء آباء لكم وجدود
زيدوا الذى أعطيتموه وأحكموا ... صلة توثق طارفا بتليد [١٠]

الهـــوامش

(١) عبد اللّه سرور : خليل شيبوب رائد التجديد الشعرى ، مؤسسة الشباب ، جامعة الإسكندرية ١٩٨٧ ، ص ، ٢٥

(٢) ديوان الفجر الأو ل ، ص ١٧٣

(٣) ديوان الفجر الأول ، ص ٦٨

(٤) عبد اللّه سرور : خليل شيبوب رائد التجديد الشعرى ، ص ٥٩

(٥) ديوان الفجر الأول ، ص ٣

(٦) ميخائيل نعيمة : الغربال ، نوفل للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٩١ ، ص ٧٦ ، ٧٧

(٧) مصطفى بدوى : دراسات فى الشعر والمسرح ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧

(٨) عبد اللّه سرور : خليل شيبوب رائد التجديد الشعرى ، ص ١١٢

(٩) أشعار لم تنشر ، ص ١٨٣

(١٠) أشعار لم تنشر ، ص ١١٤

مقــدمة

إلـى مطالع هذا الديوان

خليل شيبوب صديقى ، أرادنى لأقدِّم ديوانه حبًا للخليل وكرامة .

خلته مستحييًا مما يسومنى . ما أعظم تواضعه . تاللّه إنه ما كان مجشِّمى صعبًا إلا أن يدعونى إلى غير ما ألِفْت من الصدق . وهذه فرصة أشكرها له لأنه قيض لى بها أن أبدى رأيى فى الضرب الذى آثره من الشعر على سواه .

أقول من الشعر وأرجو أن يفرق القارئُ كما فرقت بين معنى الضرب من الشعر وبين معنى الضرب فى النظم .

الناطقون بالضاد فى هذا الأوان فريقان فى تصور كنه الشعر : أحدهما يراه على المذهب المعروف كما وضع أصله فى الجاهلية وعدِّل بعض الشىء فى صدر الإسلام ، ويأبى له إلا أن يكون على النحو والأسلوب اللذين كانا منذ البدء وبالرصف والترتيب اللذين بقيا هما هما إلى الساعة ، وربما لم يرَ بأُسًا فى استمرارهما هكذا إلى قيام الساعة .

أما الفريق الثانى فيرغب مع الحرص على سلامة اللغة وفصاحة التعبير وجمال الديباجة فى مجاراة سائر الأمم من غربية ومن شرقية غير عربية اللسان ، على النوع الذى آثروه من الشعر بلا محاكاة آلية ولا تقليد أعمى كما يقول بعض كتابنا . وهذا النوع الذى نعته الغلاةُ جوراً بالأوروبى والأعجمى وأنصفه المعتدلون المراعون

لأحوال الزمن والبيئة والمعيشة والتحول الفكرى فى الفرد والجماعة ، فأسموه بالعصرى لم تبدُ منه فى آدابنا إلا طلائع قليلة حتى الآن . ولسوء الحظ كان أقلها مما له قيمة تغرى بانتهاج هذا النهج قبل هذا الديوان .

إن الذين يجيدون الشعر من الضرب الأول يدلُّوننى على أنهم أتقنوا المحاكاة صوتًا والمضاهاة صناعة لأناس كرروا الجهر بذلك الصوت والزخرفة بتلك الصناعة دهرًا طويلاً .

أما مكان نفسيتهم من كل هذا فلا أراه أو هو أن تراءى لى فليس إلا شيئًا مبهمًا مغيَّبًا غير واضح الصور ولا مفسِّر الرموز .

فى حين أن الذين يجيدون الشعر كما توحيه سجيتهم ويودعون فيه حسَّاتهم بألفاظهم وفى العبارات التى يتخيَّرونها لها بمحض خيرتهم ، وقد يفوتهم بعض الصيغ التى أقررناها بالعادة وقبلناها على أنها الفصحى ونفينا ما سواها بحكم العُرف الذى قدسه القِدَم وسوَّده فى مخيلاتنا كما سوَّدَ الأوهامَ فى معظم عقائد الأمم .

ولكن نفوسنا تشعر كل الشعور بكل ما أودع فى تلك المنشآت الجديدة من الوجدان وترى جلى الرؤية أدق ما رسم فيها من الصور ، فإذا أتت على القصيدة أو الديوان تبيَّنت نفسية الشاعر بحقيقتها وتصورت له شخصية بعينها لا تمتزج بشخصيات الآخرين من متعاطى هذه الصناعة غير ظانة لحظةً أن المفردات المستظهرة والجُمل المحفوظة هى التى عيَّنت له مواضعها من منظومه لا وحيُّ ضميره ولا طربُ الباعثِ الذى تحرك فى طيِّ جوانحه .

وإنه لغريب أن نكون وحدنا بين الأمم ، وقد أقول وحدنا دون سائر الأمم لا نفكر إلا ما فكره قبلنا أهل لغتنا ولا نحس إلا ما أحسوه ولا نتصور إلا ما تصوروه على تباعد وجوه الشبه بين كل شىء من ظروف زماننا ومكاننا وظروف أزمنتهم وأمكنتهم .

النوع الثانى من الشعر هو الذى آثره خليل شيبوب . وكل ما نظَّمه داخل فى بابه على ما سيجده المطالع . ففى هذا الديوان لن تكون الضالة المنشودة بيتًا يجاد أو مفردات يبالغ فى اختيارها أو عبارات يبحث جدّ البحث عن وسائل تلفيقها ليرضى عرضها وإن لم يكن لها جوهر ، بل ههنا ستقرأ الشعر لتعرف ماذا أراد الناظم أن يقول به من المعنى الجديد أو أن يصف من الإحساس على مثال غير مسبوق . فمن يتصفح مثل هذه المجموعة فإنما يتصفحها بشوق المتشوق إلى معرفة نفس الشاعر والتأثر بمؤثراته وبالرغبة الصادقة فى استطلاع ما تسنى لذلك القلب الخفَّاق ، والروح الخلاق أن يُبدع من إشارة ، أو يُجدد من تشبيه أو استعارة ، أو يرسل فى صفة خاصَّة من مطلع فى الكلام ، أو يُهيئ من مقطع حلو فى ختام ؛ إذ إن المكوث آخر الدهر وعند عادات عُرفت حتى تنكرت ، والأخذ بلا ملل على توالى العصور بألفاظٍ قررت ، ومعانٍ مجَّت من فرط ما كررت ، كل أولئك إذا طلبه القارئ فليدع هذا الكتاب . وسوف يدع الديوان تلو الديوان مما يصدر بعده لأن الرقى غلاَّب ، وله الفوز فى المآب ، ولأن العامَّة إن أصرَّت على الجمود وهو التأخر أو صورة من صور الموت ، فمن الخاصة من كشيبوب يأبى إلا التحرك إلى الأمام ، وبهؤلاء النجاة ، وهم فى الحقيقة طليعة النجاح ورسل الحياة .

خليل مطران

الشعر

لأمير الشعراء أحمد شوقى بك

ما وصلُ من تَهوى على أنْسَةٍ	بالبدر فى ظلِّ الربيعِ الظليل
على بساطٍ نَسَجته الرُّبى	شتَّى الحُلى والوشى غضٍ طليل
أبدى الرياحين وأهدى الشذا	وجرَّ أذيالَ النسيمِ العليل
واستضحك الماءُ فهاج البُكى	فى كلِّ خدرٍ لبناتِ الهديل
بالمجلسِ الممتعِ ما لم تَزِدْ	فيهِ ابنةَ الكرمِ وشعرَ (الخليل)
شعرٌ جَرى من جَنَبَاتِ الصِّبا	يا طيبَ واديه وطيبَ المسيل
فيه رواياتُ الصِّبا والهوى	تسلسلت أشهى من السلسبيل
قد صانَها الشاعرُ عن حُلوةٍ	فى مُفْضِلٍ أو مُرةٍ فى بخيل

* * *

شيبوبُ ديوانُك باكورةٌ	وفجرُك الأولُ نورُ السبيل
الشعرُ صنفانِ فباقٍ على	قائلهِ أو ذاهبٌ يومَ قيل
ما فيه عصرىٌ ولا دارسٌ	الدهرُ عمرٌ للقريضِ الأصيل

لفظٌ ومعنًى هو فاعمد إلى ‌ ‌ ‌ ‌ لفظٍ شريفٍ أو لمعنى نبيل

واخلُقْ إذا ما كنتَ ذا قدرةٍ ‌ ‌ ‌ ‌ رب خيالٍ يخلق المستحيل

ما رَفَعَ القالَةَ أو حطّهم ‌ ‌ ‌ ‌ إلا خيالٌ جامدٌ أو منيل

من يَصفِ الإبْلَ يَصف ناقةً ‌ ‌ ‌ ‌ طارتْ بهم وارتفعت ألفَ ميل

سائل بنى عصرك هل منهم ‌ ‌ ‌ ‌ من لَبِسَ الإكليلَ بعد الكليل

وأيُّهم كالمتنبّي امرؤٌ ‌ ‌ ‌ ‌ صوّاغُ أمثالٍ عزيزُ المثيل

واللّه ما موسى [1] وليلاتُه ‌ ‌ ‌ ‌ وما لمرتين ولا جيرزيل

أحقُّ بالشّعر ولا بالهوى ‌ ‌ ‌ ‌ من قيسٍ المجنونِ أو من جميل

قد صوّرا الحُبَّ وأحداثَه ‌ ‌ ‌ ‌ في القلبِ من مستصغَر أو جليل

تصويرَ من تبقى دُمى شِعرِهِ ‌ ‌ ‌ ‌ في كل دهرٍ وعلى كل جيل

شوقي

* * *

(١) ألفريد دى موسيه ، الشاعر الفرنسي .

بســم اللّــه

لا بد لكل كتاب من مقدمة تهيئ الأذهان لقراءَته ، مجاراةً للطبيعة فى شتى كتبها إذ نقرأ للنهار مقدمة الفَجْر ، ولليل مقدمة الشَّفق ، وللبحر مقدمة الشاطئ ، وللربيع مقدمة الطيور ... والحب مقدمة الحياة !

ولعل تلك المجاراة إحدى غايات الفن ، بل لعلها أهم تلك الغايات .

على هذا سألت سيدى الصديق الكبير شاعر القُطرين خليل مطران أن يقدِّم هذه الأوراق إلى القراء . وسرعان ما أجاب على ذلك السؤال بالقطعة الشائقة المدرجة في صدر هذا السِّفر . فشكراً له على عطفه ولطفه . ولا بد أن يكون قد نظر إلى شعر الكُتَّاب بعين الرضى . وفيما خلا هذا فإن فى تلك المقدمة من الحِكَم الغوالى ما يجب أن يتدبره كل متعشق لهذه الصناعة .

* * *

لمَّا افتكَّ الحاضر قيود الماضى ونفض عن الشِّعر غُبار التقييد والتقليد ، وقف الشعراء بين حيرتين : حيرة اللفظ وحيرة المعنى . فمنهم من نبذ اللغة وقواعدها وأساليبها ورمى بكل ذلك التراث الفخم عرض الحائط صارفًا جهده إلى المعنى ، مغاليًا فيه ما شاء ، مقيداً كل آبدة تسنح له ، مبالغًا فى تقصى آخر ما تستلمح مخيلته ، متخيراً له من اللفظ ما يلتبس عاميه بفصيحه ، وجميله بقبيحه . فثأرت اللغة لنفسها من هؤلاء بما أضعفت من معانيهم ، وأفسدت من صور خيالهم ، لِمَا أنهم ثائرون عليها ، منكبون عن جادتها . وهل يصحُّ الرسم إذا اختل قلم الراسم أو تثبت

القدم إذا وعرت الطريق ؟ ... لأنه مقضي على المرء أن يعبِّر عن المعاني غير المتناهية في نفسه بلفظ متناهٍ محدود . فاللفظ للمعاني ثياب لا بد من إتقان صنعها والتوفيق بين ألوانها وهيأتها لئلا تصير مدعاة للضحك والسخرية . لذلك كان كثير من شعر هؤلاء شنشنة تنبو عن سماعها الآذان ، ورطانة لا تظفر الأفهام بشيءٍ منها .

أما الآخرون فإنهم احتفظوا باللغة سليمة مما يشوب جمالها ثم عالجوها للمعاني الجديدة فلم يوفقوا إلا قليلاً فكان شعرهم أجوف لا يهزّ عاطفة ولا يحرك ذهناً لأنه لا هنا ولا هناك كدرداب الطَّبل يُوقظ النائم ولكنه يصدع الرأس .

إنه يجب التعبير عن المعنى الصحيح باللفظ الفصيح . وكل معنى لا يجدد في الذهن صورة نادرة أو فكرة سامية فهو سقيم . وكل لفظ يصور المعنى بوجه التقريب أو يكدر صفاءَ الصورة في الذهن فهو عقيم . ونحن اليوم ألح ما نكون حاجة إلى ابتكار المعاني وتنسيقها وجلائها والتعبير عنها بلفظٍ يلائمها . على أن طائفة من نوابغ المحدثين تتمشى اليوم بشعرها في هذا السبيل وقد وفقت فيه أحسن توفيق والمستقبل كفيل الرقي .

ليس الشعر وحيًا يهبط من السماء ، وليس قائلوه من الأنبياء ، وإنما هو قوة في الشعور والخيال ، وقدرة على تصوير هذه القوة حتى تدخل في حيِّز من المكان والزمان .

الشعور والخيال جناحان تطير بهما نفس الشاعر إلى مراقي الفن الأبدية ، وترفرف بهما على الحياة تستشرفها استشراف الطائر وجه البسيطة .

والفن شمس الحياة تُنير مكامنها المظلمة ، وتدل على مخابئها البعيدة ، وتزيد في جمال صورها البارزة ، فتستجيلها العيون على قدر ما أعطيت من قوة الباصرة .

وقد امتزج الفن بالحياة ، وامتزجت الحياة بالطبيعة وكأن الشعر روح تتنفس عنه هذه الطبيعة ، فوجب النزول إلى معالجتها ، واستفتاح مغالقها ، واستيعاب

حكمها، واستيضاح زخارفها . وفى هذا ما فيه من الجهد والصبر . ولا كمال فى الشعر كما أنه لا كمال فى الفن ، وإلا ما كان هذا فنًا وذلك شعراً .

* * *

إن من يمعن فى الشعر الحديث نظرة استقصاء لا بد له من التنبه إلى أمر جلل : وهو أن النشءَ الحاضر عامل على مجاراة المدنية السكسونية فى الترامى وراءَ العويص الشاذّ من خيالها ومعانيها ، بينما كان النشء السابق يستوحى المدنية اللاتينية ويتقرَّب إلى طرائق رجالها والشعراء منها . ولا شك أن الشرقيين بطبائعهم وغرائزهم ونزعة نفوسهم إلى شرود الخيال الذى تزنه الحكمة بمعيار الحياة حتى تدنى أقصى ما قصى منه . لا شك أنهم بذلك أقرب إلى محاكاة المدنية اللاتينية بما يحولونه منها إلى لحمهم ودمهم لتستقل بذلك نفسيتهم وتبرز شخصيتهم . ولا يجهل المعنيون بهذه الإشارة أن المدنية السكسونية بنت المدنية اللاتينية ، وأن مذهبها فى الخيال(romantisme) قد نشأ فى فرنسا ، ثم عَبَر نهر الرين إلى ألمانيا ، ومنها ركب البحر إلى إنجلترا ؛ لأن مبتدعيه برناردان دى سان بيير وجان جاك روسو وشاتوبريان وما فى هؤلاء من نظم قافيتين وقد استوهبهم إياه جوته العظيم ، وعنه أخذ بيرون وشلى وغيرهما ، ولكن الآخذين تفردوا به لقوة طبيعة التحويل فى نفوسهم حتى كأنهم مبتدعوه . ومن مدهشات التطور أن هذا المذهب بقى متابعاً سيره حتى عاد إلى مهده فرنسا مصطبغًا بصبغة جديدة ، فتناوله لامارتين وموسه وهوجو ومن نحا نحوهم .

نعم لا وطن للفن ، ولكن لكل أُمة ميزة عما سواها ؛ لذلك نرى أن استقاء ذلك المذهب من منبعه أو فى بالحاجة منه وأتم انطباقًا على طبائعنا وحياتنا الشرقية بما يلائمها ويتفق معها حتى يجيء الرقى حثيثًا ويصقل الوضوح شعراً إنما عيبه اضطراب معانيه وبعده عن المألوف فى عيشتنا ، وإنما ينظم الشاعر لأهل لغته من الأجيال الحاضرة والمقبلة .

* * *

وبعد فهذا شعر نظمته لأروض به نفسي في خلواتها وأراضيها بما يجدد بهجتها في أفراحها ، أو يسليها همومها في أتراحها ؛ فإن أحسنت فلي أو أسأت فعليَّ . وفي هذا الشعر ما فيه من تردد الضعف ، وذهول الحيرة ، وتنفس الصعداء . غير أن الإخلاص شفيع له . وكفى بالشاعر بؤسًا أن يرمي بقلبه إلى الناس ، وأن يطرح بين يدي الجمهور خاصة دَخْلته يفسدها عليه ذوو النيات المبهمة ، والغايات المتهمة ، حتى ليضلونه عن صواب حسّه ، ويزهدونه في يومه وأمسه ، فلغير هؤلاء ينظم الشعر .

واللّه وليّ الأمر .

أغسطس سنة ١٩٢١م

خليل شيبوب

* * *

النُّـــور والحيـــاة

أحبُّ الضُّحى وأحبُّ المساءَ ... وأهوى الظلامَ وأهوى الضياءَ

ووقتًا ترفرفُ روحي فيه ... يُنازعني من بقائي البقاءَ

معاني الحياة كأوقاتها ... فما سُر سَر وما سِيءَ ساءَ

* * *

إذا الشمسُ أرسلت النور ولاحت ... كنبع عقيقٍ تَدفَّقَ ماءَ

وسالَ كتبرٍ أُذيبَ وصُبَّ ... على الكونِ يسقي الفضا والهواءَ

تَرقْرَقَ مثل دموعِ العذارى ... حسبتَ الخدود لهن إناءَ

وما البدرُ في الليلِ إلا لجينٌ ... يذوبُ سنًى وينيرُ السناءَ

كأن الحسان لبسنَ الحدادَ ... وأسفرنَ عن كل وجهٍ أضاءَ

وإن خيَّم الليلُ قام السوادُ ... بهيمًا كعقلٍ أضاع الذكاءَ

كأن الغواني نشرنَ الشعورَ ... وسترنَ أوجُهَهُنَّ حياءَ

فشمسُ الصباحِ عقيقٌ يسيلُ ... ونحنُ دعونا العقيقَ ذكاءَ

وبدرُ الظلام لجينٌ ، لذاك ... يلألئُ نور اللجينِ صفاءَ

وليس الدُّجُنَّةُ إلاَّ فَناءٌ إذا ما تراءَت لنا يتراءى
وما قولُنا الشمس والبدرَ والصبحَ والليلَ في العمرِ إلا امتراءَ

* * *

وإن الحياة لَتُقضى كذلك طوراً ظلاماً وطوراً ضياءَ
وما اختَلَفَتْ غيرُ عينٍ تراها شقاءً وعينٍ تراها هناءَ
وما النورُ إلاَّ الحياةُ فهذا رآهُ صباحاً وذاك مساءً

١١ يوليو سنة ١٩١٢

* * *

أمنيــة

إلى أ ... أ ...

ألا ليـتنى وحـبيـبـة قـلبىَ   فـى روضــةٍ أُنُــفٍ زاهــره
فنمــشى أطـوِّقُـهــا بالـذراعِ   وأنشُقُ أنفـاسـهَـا العـاطـره
نسيــرُ كـذلك جنبًـا لجـنبٍ   وعـينى إلى عـينهــا ناظـره
فـأقـرأُ فى وجـهـهـا للطبـيعـةِ   أكـبـر آياتهـا الســاحـره
وتُعــقـد من فـوق هامــاتنا   مِظـلاَّتـهـا الأغـصنُ الناضـره
ونلعبُ فى المرج مـسـتأْنِسَـين   بصـوت عـصـافيـره الطـائـره
تقـبـلُ أذيَالهـا الـزهـراتُ   وهى بتـقـبيلهـا فـاخـره
تداعـبُ هــذى الأزاهــرَ لطفًـا   وتـجنى أناملُـهــا المـاهـره
وتصنـعُ منها صـفوفًا صـفوفًا   لتكليل هـامــتـهـا الزاهـره
فـتـعـقـصـهـا من هنا وهنـاك   نـاظمــةً جــمـعـهـا نـاثـره
وتـرنـو إلىَّ كــمــا تتــألَّقُ   فى جـوهـا الأنـجمُ السـافـره
فـأفـدى بروحى وأهلى ومـالى   مـحـاسِنَهـا الغـضَّـةَ البـاهـره
وتقـطفُ بعض ثـمـار الغـصـون   وتطعــمـنى يـدُهـا الطـاهـره

ونأتى إلى النبع نشرب فى | الأكُفِّ من الجُرَعِ الفائره
ونجلسُ فوق الحصى نَتَحدَّثُ | عن كل واردةٍ صادره
وفى الليلِ نرعى نجومَ السماءِ | ونرقبُ أفلاكَها الدائره
نناجى الغرامَ وخلاَّقه | بأعماقِ أرواحنا الساهره
تباركنا الشمسُ كُلَّ صباحٍ | بنور أشعتها الفاتره
وننشقُ ملء الفؤادِ الهواء | فتُنعشنا النسمُ العاطره
وتبسم لى وتجىء بقربى | فتؤنسنى الظبيةُ النافره
.... | ....
سعاد فريدةُ عقد الحياةِ | ودُرَّتُها الحرةُ النادره
إذا تَمَّ لى بعضُ «أمنيتى» | سمحتُ بدنياى والآخره

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٢

* * *

بَسْمَة

أرأيتَ الحبيبَ في الحللِ السودِ ... كشمسٍ بها تحف الغيوم

في ثيابِ الحدادِ بين لِداتٍ ... هي سَعْدُ الحمى وهنَّ النعيم

خاطراتٍ يمسْنَ عن خيزرانٍ ... ناعمٍ وجههُنَّ صبحٌ وسيم

في رياضٍ مثل السماءِ صفاءً ... هي بدرٌ بها وهنَّ النجوم

رنَّحتني بلحظها حين مَرَّت ... مثلما رنَّح الغصونَ النسيم

بَسَمَتْ عن لآلئٍ وعقيقٍ ... فكأنَّ اللثاتَ عقدٌ نظيم

ما ألذَّ ابتسامةً من فمِ المحبوبِ ... إن كان رمزَها التسليم

هي فجرُ الآمال في مشرقِ العمر ... يراه المخيَّبُ المحروم

هي نورُ الفؤاد قد شفَّ عنه ... ثغر حِبٍّ به الفؤادُ يهيم

إنما الحبُّ طفرةُ النورِ في القلبِ ... وسرُّ الغرامِ سرٌّ قديم

وكذا العمرُ مطلعُ السعدِ فيه ... «بسمةٌ» والحياةُ ليلٌ بهيم

٨ ديسمبر سنة ١٩١٢

* * *

ثالث القمرين

فى تنصير حبيب بدران نجل الكاتب الكبير عبده بدران

حبيب يا ثالثَ القمرين وتاجًا على هامة الفرقد
وُلدتَ طهوراً وإن حمَّلوكَ خطيئةَ آدمَ فى المولد
وروحُك أطهرُ من كل نور وجسمُك أنقى من العسجد
لئن نصَّروك فهذا التطوُّعُ ذكرى وريَّا الفؤاد الصَّدى
نُعيِّدُ فيه فداية عيسى ونكرمُ فاديك والمفتدى
بُعِثْتَ من الماءِ كالشمس تُبعثُ من بحرها فجرَ كلِّ غد
وزدتَ على بهجة بهجةً وفزتَ من الحسن بالأزيد
كما عَبَقَ الزهرُ غِبَّ حياءٍ وقام بثغرٍ نقيٍّ ندى
فدم يا حبيبَ القلوبِ حبيبًا تُهنَّأُ فى العيش بالأرغد
وتنشأُ بين خيارِ الرجال يا طيِّبَ الأصلِ والمحتد

١٥ ديسمبر سنة ١٩١٢

* * *

زهـــرةُ قـرنـفـل

آمنتُ أنكِ روضــــةٌ فـــيــــهـــا غـدا طيـرُ الجـمـالِ مـهـللاً ومُـسَـبِّـحَــا

هـذا قـوامُك غـصـنُهـا الرطـبُ الذى فـى رأسـهِ زهـرُ القُـرنفـلِ فَـتَّـحَــا

* * *

دمعــــة

على رفيق الصبا المرحوم شاكر إبراهيم

راح ابنُ إبراهيم فرعُ العَلَى   فعطلت منه عيونُ الحُلَى
مات وأيامُ الصِّبَا غضةٌ   والعمرُ رخصٌ ناعمٌ أقبلا
مات وفى الدوح حماماتُه   سواجعُ قد فقدت بلبلا
تبكى وتستبكى عليه الندى   دمعًا رخيصًا لسواه غلا
الغصن فى روضته ذابلٌ   لموتِ غصنٍ عزَّ أن يذبلا
والأفق مربدُّ الضيا شاحبٌ   والنجمُ موَّارُ السنا أجفلا
والبدرُ رحَّالٌ بأبراجه   يسألُ عن بدرٍ غدا فى البلى
أُنزلَ فى بطن الثرى بعد أن   كانت له أرواحُنا منزلا
كان مزيلَ الهم إيناسُه   واليومَ مغنى الإنس منه خلا
قولوا لسالى وُدِّنا كارهًا   واللّه ما منا فؤادٌ سلا
يا مطربَ الرفقة فى محفلٍ   قد كان يشجو صوتُك المحفلا
صوتُك للداءِ دواءٌ به   يشفى ويشقى العاشقُ المبتلى

لهفي على «يا ليل» منه وقد | كانت بها الليلاتُ بيضَ الطلى
لهفي على عمرك وهو الذى | بدا غزيرَ الخير لو أمهلا
لهفي على روحكَ بنتِ الرجا | أوصافها ساطعةٌ مندلا (١)
لهفي على عقلك لهفي على | علمك يا شاكر لهفي على ...
علمٌ بروض الصدرِ دوحاتُه | تسقى النُّهى أغراسهَا سلسلا
كيف حواه القبر في ضيقه | والبحرُ لا تحويه رُحْبُ الفَلا
الفضلُ والمعروفُ قد يُتّما | واللطفُ والرقةَ قد عطلا
يا أهله لا تسبلوا مدمعًا | فالفجرُ عنكم دمعه أسبلا
لا تندبوا فالطيرُ ندَّابةٌ | لا تعولوا فالغيثُ قد أعولا

٣ يناير سنة ١٩١٣

* * *

---

(١) أى فائحة طيباً .

اللّيـــل

أنا بيـن الأمـــراضِ والحـــسرات ذهبَتْ صبـوتى وضاعت حيـاتى

كم دعوتُ الممـــاتَ دعـوة يأسٍ عـــالـمًـــا أن راحـــتى فى مماتى

باكـيـًا ليس من يكفكفُ دمـعى شـاكـيـًا ليس من يُجـيب شكاتى

رقَّ قلبى الخَـفـوقُ حـتى تلاشَى وجـرى ذائبًـــا مع العبـــرات

وقَـضَتْ مهجتى الضعيفةُ مقـذو فًـا بهـا فى النحـيب والزفرات

فارحـمـوا مـهـجـةً قـضت وفؤادًا مـقـويًا فى ضـالعٍ مـقـويات

* * *

أنا فى اللّيل مثل سرٍّ عـجـيـبٍ فى فؤادٍ خالٍ من العـــاطفات

أنا وحـدى سهـران مضطربٌ بين نـيـــامٍ بـأنـفـــسٍ هـــادئـــات

كطريحٍ فى جوفِ رمسٍ رحـيـبٍ قـد أحــــاطت بـه بـوالى رفات

ظـلـمــاتٌ ولا شـعــــاعُ رجاءٍ مــؤنـسًـــا فى حوالك الظلمات

أيُّهـــا الليـلُ أنت مـرآةُ حظّـى قـــمـتَ تدنى إلىَّ يومَ وفـــاتى

حـــبَّـذا الموتُ يا ظلامُ فـــإنى تاعسُ الحظِّ قد سئمتُ حيـاتى

* * *

القَبر

على سفح ذاك التل من جانب الحمى ... له جدثٌ في الأرض قد طاول السما

مطلٌّ على البحرِ المحيط وقد حوى ... أجَلَّ من البحر المحيط وأعظما

يحييه نورُ الشمس في كُلِّ مطلعٍ ... ويبكي عليه الصبحُ دمعًا معندما (١)

ويحنو عليه الليلُ وهو مروَّعٌ ... فيُطلع أقمارًا عليه وأنجما

أحاطت به الأشجارُ وهي كأنها ... حزانى لديه شاكيات تألُّما

تمدُّ إليه الظلَّ يعبسُ وجهُهُ ... إذا ما شُعاعٌ في الغصونِ تبسَّما

وتؤنسها ندبًا وشجواً حمائمٌ ... هواتفُ فوقَ الغصنِ تعقدُ مأتما

يمر به الغادى فيسكبُ دمعةً ... ويطرقُ حزنًا ضارعًا مُترحما

يسيرُ وما بين الجوانحِ نزعةً ... إلى اليأسِ تُذكى دفتيه تضرما

على والدٍ لم يخلق اللّه مثلَهُ ... بميتتهِ أشقى يتامى وأيُّما

* * *

(١) أى مائلاً إلى الحمرة كأن به أثر دماء .

أبى كنتَ تُنسي اليتمُ كلَّ ميتَّمٍ ... بموتكَ أضحى مرتين ميتما

توسعتَ في المعروفِ حتَّى ملكتَهُ ... وحيدًا فلمَّا رحتَ راحَ مقسما

وكنت كبيرَ العقلِ والقلبِ والنُّهى ... وكنتَ الأبرَّ المستحبَّ المفخما

وكنت طهورَ النفسِ والدِّينِ والحِجَى ... وكنتَ الأبيَّ الأريحيَّ الميمما

شمائلُ يرويها النسيمُ وقد سرى ... عليلاً على القبر الكريم مسلما

* * *

أبى لو تراني واهيَ الروحِ باهتًا ... أجرر جسمًا خاويًا متهدما

يقطعُ قلبى الداءُ والداءُ قاتلٌ ... إذا ثار أصلى واستبدَّ وحطَّما

أروح وصدرى مفعمٌ بهمومه ... وأغدو وقلبى بالمصائب أُفعما

نعم لو تراني ينفثُ الصدرُ روحَهُ ... رأيتَ إذن هولاً ويأسًا تجسَّما

فليتكَ لما مُتَّ متْنَا معًا لكى ... نرى التُّربَ أجرًا والنهايةَ مغنما

غدت لك روحٌ في السماءِ أمينةً ... وجسُمكَ في الدنيا إلى الأرضِ أسلما

وإنى على هذا وتلك مولَّهٌ ... فويلى من الدنيا وويلى من السما

* * *

لقد أرسلوا رسمًا إليَّ أرى به ... جمالك ميتًا بالردى متلثما

أطافَ به أحبابُنا تبعثُ الأسى ... لواحظُهم حولَ المفارقِ حوَّما

رأيتُهمُ لا يمسك الصدرُ قلبَه ... عليكَ وجومًا من أسى وتألُّما

ومنشورةُ الشِّعرِ التى طار لُبُّها شَعاعًا وقد صار الفراقُ محتما
غدت تستجيرُ الموتَ والموتُ جائرٌ وأنت مهيبُ الصمتِ لن تتكلما

* * *

أبى أين ما كنا عليه ... فإننى أرى اليومَ عمرى حَالِكَ اللَّونِ مظلما
ولستُ أرى صبحًا ولستُ أرى دجى ولكن أرى شيئًا من الليل أقتما
تكاثر فيه الهولُ والويلُ ضاربًا عليه شحوبًا بالخطوبِ مخيما
تطايرت الأشباحُ حُولاً عيونها به مثل نيران تقاذف مرتمى
ترجرج قلبُ الجوِّ والجوُّ أربدُ أسالت على أكنافه نارُها دما
لعمرك لم يُمْنَ امرؤٌ بمصائب أشد من اللائى عرفت وأعظما

* * *

إلا وقفة يا قبرُ تطفئُ لوعةً وتسعدُ هذا المستميتَ الميتما
أُذيب سوادَ المقلتين تفجعًا وأسقى الثرى حتى يحنَّ ترحما
وأسأله عن والدى كيف حاله وقد أنزلوه فيه ضيفًا مكرما
وأسأله رفقًا ولطفًا بضيفه وحقًّا له أن لا يُضاعَ ويهضما
أيا قبره فى كُلِّ يومٍ وليلة عليك إله العرش صلَّى وسلَّما

أبريل سنة ١٩١٢

* * *

حــدود العقل

إلى سيدى الكريم الأخ توما اسطفان
مفتش اللغة العربية بمدارس الفرير

إله الورى أين الوعيد والذكرُ ؟ ... ظمئنا وعن أبياتنا انقطع القطرُ
لقد شاخ هذا الكونُ وانهدَّ أسُّهُ ... كأنَّا به الأمواتُ وهو لنا قبر
تنكرتِ الشمسُ الإلهيُّ نورها ... وقد أصبحت صفراً أشعتها الحمر
وبدرُ الدجى قد كاد يخفى ضياءَه ... علينا فهل من شرنا غضب البدر؟
فلا مبسمٌ يجلو عن القلب غمّه ... ولا نظرَ يهتزٌ من سحره الصدر
ولا نسمٌ فى بردها طيب الشذا ... ولا شفقٌ من نوره اندفق التبر
ولا أُصُلٌ فى خيطها لمع بارق ... تنير منار الطوق أنجمه در
بلى ارتجفت أمُّ النجوم وأجفلت ... ولا كوكبٌ إلا ملامحه كدر
يسير إلى البحر الخضم ليرتمى ... به فيواريه ويبتلعُ البحر

* * *

إله الورى هل نظرةٌ من عنايةٍ ... يُرَدُّ بها عن كوننا النظرُ الشزر؟
ألم ترَ اللؤمَ والغشَّ والخنا ... تناهت وقد مات التعففُ والطهر؟

عبادُك في تيهاءِ كونك سافروا ... فأين ضياءٌ يستنير به السَّفر

تمشت سُمومُ المخزيات بجسمهم ... فلا قلب إلاَّ ملءُ أوداجه الغدر

أقلهم جاهًا تكاثر فضله ... وليس قليلاً من فضائله كثر

وأصبح شرُّ الناس فعلاً أجَلُّهم ... مقامًا كأنَّ العزَّ يصحبه الشر

وما الناس إلا ذو جحودٍ ومؤمنٌ ... فللجاحدِ النعمى وللمؤمنِ الضر

* * *

الحسن :

رأيتُ نساءً كالصَّباحِ صباحةً ... ترفُّ عليهن البشاشةُ والبشر

مشينَ خِفافًا لاهياتٍ كأنما ... يشقُّ عمودَ الليلِ في المشرق الفجر

ومسنَ بقدٍّ الخيزرانة ناعمًا ... ورحنَ بثغرِ الأُقحوانة يفتر

وغازلنَ فتيانَ الحمى بنواعس ... ترقرقَ في أجفانها الحبُّ والسحر

لقد كنَّ للقلبِ المقطعِ بلسمًا ... ويسراً لذى عدمٍ إذا ذهب اليسر

مررنَ كما مرَّ النسيمُ مهينمًا ... ونمنَ فلا عرفٌ هناك ولا نكر

وزال عبيرٌ كنَّ ينشرنَ طيبه ... وصرن ترابًا ... هكذا يذبل الزهر

ذهبنَ ولم يَشْفَقْ عليهنَّ قانصٌ ... من الموت قحٌ لا ينهنههُ زجر

فما هذه الأجسامُ يخفق قلبُها ... وما هذه الأرواح والخلقُ الغرُّ

* * *

القــوة :

وأبصــرتُ أبطـالَ الحـروبِ كـــأنهم ... من الطـود بأسًــا لا يـروعــهمُ الذعـر
إذا ضـربوا بـالسـيف طـاحتْ ممالكٌ ... وإن أغمـدوا لـم يأمن السـهلُ والوعـر
وإن نظروا شـزرًا فما البـرقُ فى الدُّجى ... وإن حـدَّقـوا راعت عـيـونُهمُ الحـمـر
ولكـنهـم مـــالوا سـريعًــا وجُـنـدلوا ... كما انحطَّ صخرٌ أو كما انحدر النسـر

* * *

الـذكاء :

وأبـصــرتُ شـبــانًـا تـلهَّـبَ لحظُـهـم ... ذكـاءً وفـهـمًـا واسـتـوى لهم الفـخـر
وعــاطتــهـم العـليـاءُ بنتَ كـرومـهـا ... فـداموا كـبـارًا لـم تنـل منـهم الخمـر
هم ناهـزوا الشـعـرى ضـيـاءً ورفـعـةً ... بورى نهى يعلو به الصـيتُ والقـدر
تضـاحك ثغـرُ الدَّهـرِ عـجـبًـا وهكذا ... بأمـثـالهم من نفـســه يعـجـبُ الدهر
ولكـنهـم لم يلبــثـوا أن تقـــهـــقـروا ... ســراعًـا إلى البلوى فـواراهم القـبـر

* * *

إلا أنـــهــم جـــــــــاءوا وأنـــهـم رأوا ... وأنـــهـــم ذاقـــوا وأنـــهـــم مـــرُّوا
ولـم يبـقَ من حُـــسْـنٍ ومن قـــوةٍ ومـن ... ذكـــاءٍ ســـوى شـيءٍ يـردده الذكـــر
ومـا فـهمـوا معنى الذى أبصـروا كـمـا ... تنزيغ عيونُ الشَّرب[1] أثقلها السـكر

---

(١) جماعة الشاربين .

فـــقـــام أنـاسٌ يـطلبـون بـثـأرهـم — وهل لهم في الغيب عند القضا ثأر ؟

أغـــاروا بـــمـــرخيّ العنـانِ مطهمٍ — من العقل لكن عيبه الشكل[1] والأسر

فـلاسـفـةٌ في البـحث لـجـوا وإنـمـا — رأوا لججًا في البحث ليس لها سَبْر

أرادوا من الأكـوان كـشف غـوامض — مـحـصنة كـالبكـر يحـضـنهـا الخـدر

وما برحت في الجسم والروح عندهم — أقـاويل من تسطيـرها نضب الحـبـر

فلمـــا رأوا لـلـجـــسـم حـلاً لأنه — تواصل أوصـال نبا الـعـقل فـاغـتـروا

وألووا على الروح الحـــرون عنانهم — ولكن كـــبـــا في شوطـه بهـم المهـر

وآخـــر أمـــــــر أنـكـروهـا لأنـهـم — عيوا ... وبحكم الطبع قد أُنكر الحشر

هي الروح مجموع القُوى في اعتقادهم — متى يتلاشى الجسم يودى بها الكسر

وأنك مـجـمـوعُ العناصر كلهـا — فـأنت الـهـوا والأرض والماءُ والجـمـر

ونحن قطيعٌ شاردٌ مـتـقـطـعٌ — كما شردت في الدوِّ [2] سائمة ضمر

نعم هكذا قـالوا وهـذى علومـهـم — لهـا كل يوم في صـحـائفـهـم نشـر

فـمـالك عنهم ساعة الذود صامتًا — وعند تلافي الخطب هل يحمد الصبر

وأعظم مـا بي أنني لست فـاهمًـا — لصمتك معنى عنده يكشف العسر

فمـا اسمك يارب السموات قل لهم — ومن أنت يا من دونه أُسدل السـتـر

ومن دونه سبعٌ طباقٌ ودونهـا — بروجٌ وأفـلاكٌ يحـاربـهـا الفكر

فـقل لهم : الأرض والبحر مسلك — إلى عرشك السامي الذّرى والورى سفر

---

(١) القيد .

(٢) الفلاة .

وقل لهم : اعــــدى عـدو ابن آدم هى الروح إن لم تستقم فهو الخُسر

لعل لهم روحًـــا لعل لهم نـهـى لعـل لـهـم قـولاً يـصـحُّ بـه العــذر

وإلا فــبــدد شــملَهم وإلى مــتى بهم وبهـاتيك الأضـاليل تغتـر

بكفك أرواح العـــبـاد تعلقت كما حملت أثمارَها الأغصنُ النضر

امط عن محيا الكون عُجمةَ جهله وأعـربه حــتى لا يظـل بـه سـر

أبِــنْ لـلـذى يرنـو إليـك بمقـلـةٍ يسيل على الخدين من مائها نهر

وقل مـا الذى قبل الحـيـاة وبعـدها ومن أى نسجٍ ساحـرٍ نسج العمـر

أحــقًّـا كــتــاب ذلك الكون كله وكلٌّ له مـــا بيـن أوراقـه سطر

وهل عيشنا تشكيل أحرف سطرنا فــهـــذا له نصب وذاك لـه جـر

وذاك سكون مستديم تضمه كأن عليـه صـروفُ الدهر والمحنُ الغبـر

بتـى حـــوّاءَ ألـفـــاظُ مـنـشـئٍ فعَليتُهم تظمٌ وسوقَتهم نثر

هل الناس والأفلاك والصبح والدجى وهل صبوة الإنسان والجاه والفخر

سوى معضلات إن توخيتُ حلها وردتُ وبى أمـر وعُـدتُ وبى أمـر

وأدركنى شـكٌّ بأنـك كـــائنٌ وهمت بوادٍ من مـعـارجه الكفـر

ولكن إيمـــانًا بقلبى مـوطـدًا يردُّ جماح الفكر أن جمح الفكر

. . . .

* * *

ألا حبذا العبد الذى أنت ربه　　وما العبد من والاك لكنه الحر

وطوبى لمن يرضيك فعلاً فيقتنى　　رضاك له كنزاً وأنت له ذخر

كما امتاز توما اسطفان تورعًا　　فميَّزتَهُ بالعلم وهو له أجر

أتوما وفضل اللّه عندك واضحٌ　　علمت فعلّمنا ومنا لك الشكر

أبريل سنة ١٩١٣

* * *

نصيحةٌ

القبيحة جميلة صنعة
والجميلة جميلة بلا طلاء
رونار

إلى آنسة

لا تقتدى بهم إذا شاهدتهم ... الفوا صباغ الوجه أبيض أحمرا

لو أنهم يدرون عاقبة الطلا ... فزعوا بأوجههم إلى رب الورى

خدعوكِ بالمثل القبيح كما هم ... خُدعوا به وغدوا مثالاً منكرا

هذى وجوهُهم انظريها كلها ... لطخٌ نَبَتْ ذوقًا وساءَت منظرا

أنتِ الجميلةُ تفخرين عليهم ... تيهًا كما فَخَرَ الشقيقُ العصفرا

أنتِ الشبيبةُ غضّة ضحّاكة ... أفتقتلين بها الحياةَ تحسرا

والعاجُ أنتِ نقاوةً وطهارة ... والفجرُ رفّافُ الجوانب نوّرا

والظبى مكحول النواظرِ ساحرٌ ... والغصنُ مَلْكُ الروضِ يزهو مزهرا

والشمس طالعةٌ تموّج نورها ... فى المشرقين فكان أبهج ما يرى

فلأى شيءٍ تعشقين غمائمًا ... ربدًا تبرقعُ وجهَكِ المتنورا

ولأى شيءٍ تطرحين أزاهرِ للـ ... غصن النضير لكى يجفٌ ويكسرا

ولأى شىءٍ تـمـنعــيـن الظـبى أن | يرنـو كـحـيل الطـرف أحـوى أحـورا
ولأى شىءٍ تسـتـرين الفــجـرِ بالـ | ـليـل البـــهـيـم مــشـوَّهًا ومكـدرا
ولأى شىءٍ تخـبـئـيـن العــاج فـى | تـرب ٍ فـتـخـتـبئُ الـثـريا فى الثـرى
صونى المحاسنَ فى عيونكِ محضـةً | وتمتــمـى بالعـيـش عـذبًا أخـضـرا
الفـرقُ مــا بـيـن الحـرائـرِ والفــوا | جـر وجــهُـهُـنَّ لنـاظـرٍ لن يخـبـرا
فـدعى التـبـرج والتـحـلى وابسـمى | تســتـنزلى النـجـم الأغـر الأزهــرا
إن المليــحــة صـنعـةُ الـرحــمـن لا | صنـع الســحــوق مــزوقًـا ومــزورا

٢٢ مايو سنة ١٩١٣

* * *

الثوبُ الأزرق

فاخرى بالذى لبستِ السماءَ ... أنت بدرُ التمام فيها تراءَى
كل ما تلبسين حلوٌ جميلٌ ... مستمدٌّ منكِ السنى والسناءَ
زدتِ حسنًا أن السماءَ وشاحٌ ... لكِ صارت غلالةً زرقاءَ
درّةٌ تلبس البحارَ وجسمٌ ... بصفاهُ كالماءِ يلبس ماءَ
كوكبٌ ثوبه الفضاءُ وغصنٌ ... قد تردَّى أوراقَه الخضراءَ
نسجتْ ذلك القميصَ العيونُ الزرقُ ... تكسو الحمامةَ البيضاءَ
تتهادين عزةً وجلالاً ... وجمالاً ومنعةً وإباءَ
لكِ ثغرٌ غضٌ على جانبيه ... طَبعَ الحسنُ آيتيه رواءَ[1]
وابتسامٌ ترقرقَ السحرُ فيه ... يبعثُ الحب والمنى والرجاءَ
وعيونٌ سودٌ بها سكب اللّهُ شعاعًا ... يحيى النفوس غذاءَ
فالبسي ما يشاءُ ذوقُك وابقى ... قُرَّة العينِ بهجةً وصفاءَ
واسرحي وامرحي وتيهي ودلى ... واسلمى واغنمى الحياة هناءَ

٣٠ مايو سنة ١٩١٣

* * *

---

(١) المراد بآيتى الحسن ما تسميه العامة غمازتين وهما فى اللغة الفينتان (بكسر الغين المعجمة) .

رجوع العافية

شمسَ الصباح شقيقةَ البدرِ عوفيتِ من ألمٍ ومن ضرٍّ

وسلمتِ من ضيم ومن شرٍّ

شكراً لربك قد رجعت إلى نور الشباب ضحوكةً جزلا

محفوفةً بالإنسِ والبشر

لا تجزعى من حادثٍ نزلا البدر يكمل بعد أن أفلا

ويعود ملءَ العين والفكر

ما ضرَّ وجهَكِ صفرةٌ عرَضَت سترينها قد زايلت ومضت

وجلت بياضَ جمالك النضر

الوردة الحسناءُ فى الخَمَرِ صفراءُ أو حمراءُ للنظر

أوَ ما تظَلُّ مليكةَ الزهر

والدر غالى القدرِ والشرفِ إن قام فى بيتٍ من الصدف

ما حطَّ ذاك بقيمة الدر

هذا تَنَقُّلُ حسنك البهجِ كالشمس من برج إلى برج

وهى المنيرة ربة الفجر

أَنتِ الرجاءُ مجسمٌ عذبُ   أنت الشبابُ منعم رطبُ

أنتِ ابتسام النور في القطرِ

أنت الحياةُ وكل زخرفها   وأعيذ طهرَكِ من تزلفها

وتباينِ الإعلان والسرِ

إنا حمدنا غبَّ عاقبةٍ   فيها لبستِ ثيابَ عافية

دامت عليك إلى مدى العمر

سلِمَتْ عيونُك فابسمي كَرَما   للدهر وابقي ما حييتِ كما

شاءَ الجمالُ فريدة الدهر

٢ يونيو سنة ١٩١٣

* * *

لا تنسى

إسعادُ ليت اللّه صوّرنى ... ظلاً يقيك حرارة الشمس
أو زهرةً حسناءَ باسمةً ... تضعينها فى مفرق الرأس
أو كوكبًا يجلو الشعاع على ... خديك والفتانة النعس
أو شرعةً من ماءٍ صافيةٍ ... تسقيكِ سقيًا طيب الغرس
أو نفحةً تسرى فتحمل من ... حبّى إليكِ بقيّةَ النفس
تسرى إلى أذنيكِ تاليةً ... آى الغرام عليك بالهمس
لكن أمانى العمر ضائعةٌ ... بين الغد المجهول والأمس
تبدو وتخفى فيك مالئةً ... صدرى بنار الحب واليأس
فيظل قلبى منصتًا وجلاً ... فى أضلعى كالرمس فى رمس
اضحى على جزع يولهنى ... وعلى تقطع مهجتى أمسى
من حادث يبلى إلى نكدٍ ... يصمى ومن بؤسٍ إلى بؤس
متحيراً والموت يرقبنى ... متنصتًا فى موقِع الحس
إسعاد يوم أنام فى جدثى ... متواريًا عن أعين الإنس
وترين نور الشمس فادّكرى ... من بات محجوبًا عن الشمس

٦ يوليو سنة ١٩١٣

* * *

العصـــر

وقـــالوا إن هـذا العـــصـــر نورٌ ... فـــهل سلمت من اللؤم الطبـــاعُ

أو انجـــابت غـــيوم الغشّ يـومًـــا ... فـــلاح الصُّـــبحُ وابتـسم الشعـــاع

وهل ســـاد الوفـــاءُ ومـــات غـدرٌ ... وزال الشكُّ وانحــــســـر القناع

وإلا مـــــا الذى يدعـــون نـــوراً ... وبـــيــن عناصــر الدنيــا صــراع

أكــــفـــرٌ كلـه سـفَـــهٌ وعـــابٌ ... وإيمـــانٌ هـو الشـــتم القـذاع

وفلسـفـــةٌ تقوم عـلى جـمـــادٍ ... أشــــال نشـوءه القـومُ الرعـــاع

بهـــا انقـادوا لما يرضى هـواهم ... كـــمـــا ينقـاد للريح الشـراع

تُشـــاد لربـة الفـــسق المغـــانى ... ويَعْـمُـرُ فى جـوانبـهـــا النـزاع

ويُبْـذَلُ كل أحـرش [1] فى حـمـــاها ... أحـقٌّ بـه الأطفـــال الجـــيـــاع

لقــــد بكت الطهـــارةُ يـوم ولّى ... بنـوهـا وانجلى عنـهـا الـوداع

على الحب السـلامُ فـمـــا تَبَـقّـتْ ... سوى الشهـوات يضرمهـا التيـاع

فتُـقـضى مثل شرب الماء فيـهـم ... ولا ســيــفٌ يـــروع ولا يـــراع

زواجـــــهـم لمالٍ أو مــــقـــامٍ ... يســوقــهم إليـه المســتطاع

---

(١) الأحرش من الدنانير ما ظهرت فيه خشونة الجدة .

سماسرةٌ تتاجر بالغواني | لها الأعراضُ تشرى أو تباع
رمينا بالبناتِ لهم متاعًا | كأن بناتنا لهم متاع
عفاءً أيها الدنيا فإني | رأيتُ الناس قد ماتوا وضاعوا
إذا قلتم بأن العصر نور | يعززه ابتداع واختراع
فباسم العصر لا تُبقوا على ما | يقال له التضامنُ والمشاع
وباسم العلم والعلما أضلُّوا | نفوسًا قد تناولها الضياع
وباسم الدين والتقوى أميتوا | ضميرَ الناسِ وليحيى الخداع
كلُوا مال الأرامل واليتامى | وجدُّوا فى تَطلُّبه وداعوا
ولا تحزنكم ثكلى أرنَّت | ولا طفلٌ نبا عنه الرضاع
ولا قومٌ أمضَّهم نواح | فما أصغى لنوحهم سماع
وقولوا إن هذا العصر نورٌ | فقولكم هو الأمر المطاع

* * *

لحى اللّه السكوتَ وناصحيه | ولكن ليس فى العذل اقتناع
تمدينُهم مصائبُ صائبات | يضيق ببعضها الصدرُ الوساع
مصائبُ كلما فكرتُ فيها | أرى رأسى ألمَّ به صداع
فيا دهرى وبيعى كان خُسرًا | « لحاك اللّه هل مثلى يباع »

٢٢ يوليو سنة ١٩١٣

* * *

ما الحب ؟ ...

إلى د ...

تُسائلني ما الحب ؟ قلت عواطفٌ
منوعة الأجناس مركزها القلبُ

فقالت ولكن كنهه ؟ قلتُ ما له
لدى البحث كنهٌ يستفاد ولا حسب

وكلٌ له حبٌ لأن تضارب الـ
ـعواطف لا قولٌ يفيد ولا كتب

سكتُّ أجابت قل .. فقلت ألم أقل
عواطف قلبٍ ... بعضها شَبِمٌ عذب

ومنها التى تسرى كنارٍ مذيبة
ومنها التى تسلى حياة الذى يصبو

وما الحب إلا رابط الكون كله
فلم يخلُ منه الفدم والجهبذ النّدب(١)

كأن بنى الدنيا بروج دوائر
منظمةُ الترتيب وهو لها قطب

فيحفظ بين العالمين توازنًا
ليبقى لها معنًى كما خلَق الرب

وأسرارُه فى القوتين اللتين لا
تزايدننا علمًا : هما الدفع والجذب

ومن فهِم الحسنِ الصميم فإنما
دعاه إليه واستقل له الحب

---

(١) الفدم : الأحمق – الجهبذ معرب كهبذ بالفارسية هو الناقد العارف – والندب : النجيب الفاضل

على أنه لا غضب فيه لأنه ... يجيءُ اختياريًا يعيب به الغصب

فلم يُرضها هذا الكلام وأقبلت ... عليَّ بوجهٍ خده ناعم رطب

وقالت أطل عنه الحديثَ فإنني ... أحس فؤادى قد تناوله الرعب

فقلتُ سلي الأطيارَ في وكناتها ... إذا لعبت ماذا أثار بها اللعب

سلي زهراتِ الروض عن نفحاتها ... إذا مال غصن الروض وهو شجٍ صبٌّ

سلي نسمات الصبح حين تنهدت ... خوافتَ تشجيها الأزاهر والقضب

سلي جارياتِ الماءِ عما تذيعه ... عن الترب أو ماذا يقول لها الترب

سلي الآثلات النابتات من الثرى ... وقد كنَّ حَبًّا كيف قد نبت الحب

سلي زاخرات الموج وهي تواصت ... إلى نغمات الحسب إذ درَّت السحب

سلي ساطعات النجمِ والبدرُ بينها ... بدا وهي سرب كيف يأتلف السرب

سلي الصخر يسقيه الندى بدموعه ... فيجثو سعيدًا زاهيًا فوقه العشب

سلي الشمس إذ تأوى إلى البحر زوجها ... مساءً لماذا دار بينهما العتب

سلي الليلِ مرتاعًا على البدو آفلاً ... كأنَّ له لبًّا وقد خفَتَ اللبُّ

سلي الصبح إذ يبكي سلي الأفق باسمًا ... سلي النور وفوق الكون يجرى وينصبُّ

سلي قلبَكِ المصغي إليَّ وروحكِ التي هي اختُ القلب تصبو كما يصبو

سلي الدينَ والدنيا سلي الأرض والسمَا ... سلي من له قلبٌ ومن ما له قلب

يُخبِّركِ أن الحبَّ سرٌّ بدت له ... معانٍ ولكن دون جوهره حجب

. . . .

فقالت وهمّت بالبكاءِ وما اشتفت ولكن ... ولكن ... بعد ذلك ... ما الحب ؟

. . . .

٢٢ أكتوبر سنة ١٩١٣

* * *

الثوبُ الأحمر

تبارك اللّه وقد أقبلت فى مطرفٍ من سندس تخطر

كأنها حين تراءت به شمس جلاها الشفق الأحمر

* * *

عفيفةٌ

كـذب المسـمِّـى والمسـمَّـى أنهم ... ذرُّوا الرمـادَ على العيـون ولوحـوا
مـا أنصـفـوا لـمـا دعوكِ عـفـيـفـةً ... لكنهم شتـمـوا العـفـاف وقَبَّـحـوا

* * *

للّـه حـسنك والعـفـافُ حـجـابـهُ ... مـا كـان أوضَحَـه لمن يستـوضح
أيامَ ترتـد القـلوبُ خـواشـعًـا ... ولـهـا إلى عليـا جـمـالك مطمح
أيام ترمـقـك العـيـون حـواسـرًا ... ولهـا احـتـرامُ الطـهـر فـرضٌ أرجح
أيـام قـدك أن تـثـنـى خـاطـرًا ... فـالغـصن من مَرَحِ الصبـا يتـرنح
أيـام لحـظُـك أن رمـى وإذا رنـا ... فـالنبـلُ يرشـق والمهنـد يذبح
أيام ثغـرُك لؤلؤٌ كَـنَـزَ اللـمـى ... مكنونَـهُ كـالزهـر حـين يفـتّح
أيام جـيـدك فـضـةٌ مـسـبـوكـة ... بالنور تسـبى الزاهـراتِ وتفـضـح
أيام وجـهـك كـالصبـاح تـزيـنـه ... ضُـفُـرٌ مـجـعـدةٌ تتـيـه وتمـرح
أيام جـسـمك هـيـكلٌ لجـلالـه ... سجد الأولى عبدوا الإلـه وسبحوا

* * *

يا بنتَ من عـمـيتْ بصـائرهُم فـمـا ... فـهـمـوا جـمـالَكِ وهـو حـقٌ أفـصـح
قـذفـوا بـه من حـالقٍ فى هـوَّةٍ ... هَجَـرَتْ معـالـمـهـا الغـوادى الرُّوَّح

قـــد زوّجـوك ولا مـلامَ وإنمـا ... ذاك التـهـوُّر منهـم مـسـتـقـبـح

مـا كـان بينهـم مـحـبٌّ مـخلصٌ ... يصف الـدواءَ ولا حـكيم ينـصـح

ومن النسـاءِ مليـحـة لا بـد أن ... تتـزوّجَ الرجـل الـذى تسـتـمـلـح

تأبى طبـاعك حـمل قـيـدٍ متـعـبٍ ... والجـسم رخصٌ والسـلاسل ترزح

فكسـرتِها وسلكتِ ما نهج الهوى ... للـعـاثـرات كـأن ذلـك أربـح

الذنبُ ذنبـهم صـدقتِ وإنـمـا ... للقـلب حـدٌّ عنـه لا يتـزحـزح

يا ليـتـهـم دفنوكِ فى قـبـرٍ بـه ... سكن الظلامُ فـشـيَّعتـك النُّـوَّح

وذهبتِ خطبُـكِ فـادحٌ لكنمـا ... مـوتُ العـفـاف اليـومَ خطبٌ أفـدح

اليـوم قـدُّكِ ذابـلٌ واليـوم لحـظـك ذاهـلٌ واليـوم ثغـرك أكـلـح

واليـوم جـيدك عـاطلٌ واليـوم وجـهـك باطـلٌ واليـوم جـسـمُك مـسـرح

مـات الجـمـالُ بمقلتـيك وأذبلت ... خـدّيكِ مـحـرقـةٌ تـهبُّ وتلفـح

إن المعـاصى كـالسّـموم فـحـرّها ... أبـداً بـه زهـر الجـمـال مـصـوَّح

* * *

قـالوا بأنكِ تُبتِ قلتُ لـكِ الهنـا ... الذنب تغـسـلـه دمـوعُ تسـفـح

وإذا المدامعُ طهَّـرت حـسـنًا غـدا ... كـالصـبح أصبى مـا يكونُ وأصـبح

إنى يـشـقُّ علـىَّ طـرفك فـاتـنًا ... يـرمـى الـقـلوبَ بـنـاره ويطـوِّح

وأراكِ سـاهيـةً فـيـقـلقِ مـهـجـتى ... وجـدٌ يـهـزُّ صـبـابتى ويُـبَـرِّح

وأنـا الـذى بَغَـضَ الريـاضَ لأنـهـا ... مـسرى لكـل العـالـمـين ومـسـرح

لولا نضارتُها ولولا طهرُها لرأيتِ كلَّ الناس عنها ينزح

فإذا نهضتِ من العثار « عفيفةً » أصبحتُ أَوَّلَ من يَغُضُّ ويصفح

إن تُبْتِ فالربُّ الكريمُ مسامحٌ لكنما هذا الورى لا يسمح

الناسُ بعضُ خلائقٍ ممزوجةٍ هذا يُخطِّئُ ذا وذاكِ يصحّح

لا يبصرون النورَ يهبط من علٍ مترقرقًا يهدى الصدور ويشرح

كم مصلحٍ بَعَثَ الإلهُ وإنما بقيت خلائقهم ومات المصلح

١ نوفمبر سنة ١٩١٣

* * *

الأمل العاثر

مُنًى لحنَ لي ثم أُنثنينَ عجالا وزايلنَ آمالَ الشبابِ فزالا

شموسٌ أضاءَت في سماءِ شبيتي هوادٍ وإذ زالت طلبنَ زوالا

مباسمِ سعد في ثغورٍ غضيضةٍ محاهنَّ ليلٌ بالخطوب توالى

تركنَ بأحشائي قنوطًا على المدى تحوَّل داءً في الفؤاد عضالا

فمن كان تغريه الحياةُ فإنني تحملتُ أعباءَ الحياة ثقالا

إذا طمحت نفسي إلى السعد إنها لتَعلم أن السعدَ عز منالا

وكنتُ أظنُ العمرَ تسعده النهى ولكن هذا العقلَ صار عقالا

فيا لشقاءِ العلم ذل تواضعًا ويا لهناءِ الجهل حين تعالى

إذا صحب البؤسُ العقولَ فإنما على السعد يبقى الجاهلون عيالا

* * *

عذرتُ أخا علم يهاجِر علمه وينسى مباديه لينعمَ بالا

فما زال هذا الناسُ ضربةَ لازبٍ يعيدون مبسوط الأديم جبالا

ومن لم يستير عيشَه في اعوجاجه فتقويمه يمسي عليه وبالا

* * *

صحبتُ زماني لاهيًا متلقيًا نعيمي وبؤسي منه كيف أنالا

ليالي أسلو الدهرَ في وجه غادةٍ هي الدهرُ تعطي يمنةً وشمالا

عشقتُكِ صدقًا يا سعادُ ولم أكن أَشُكُّ بأنَّ العشقَ يكذب فالا

إلى أن تخطتني إليك عواطفٌ رمتها بقلبي الحادثاتُ نبالا

من الناس من لا يدخل العشقُ قلبَه فيفني لياليه ونًى وملالا

لأن غذاءَ النفس قربُ حبيبةٍ تعينُ على نهب الزمان حلالا

هو الحبُّ نور العمر إمَّا خبا فقد خبا بعده نورُ الحياة وحالا

فإن يكُ من تهواه غيرَ مسالمٍ تُصِبْ في التصابي جنَّةً وخبالا

سبا مهجتي قدٌّ رشيقٌ ومبسمٌ عقيقٌ ووجه يستهل جمالا

وشَعْرٌ كأنَّ الشمسَ مَدَّتْ شعاعها شباكًا على متن الضحى وحبالا

وعينان زرقاوان يجلو سناهما سماءَ ربيعٍ فيهما تتلالا

تعشَّقتُ خلقًا لم تزنه خليقةٌ فتوجد في شخص الحبيب كمالا

فلم تمتزج روحي وروحُكِ في الهوى فصار عليَّ الحبُّ فيكِ محالا

تُفاخرني بالحسنِ أني أسيره وأن لها عرشًا به يتعالى

إذا وجدت حسناءُ فخرًا بحسنها فمذ كنَّ تستصبي النساءُ رجالا

وأي افتخار للشراب بكاسه إذا لم يكن ذاك الشرابُ زلالا

هويتكِ حتى لا نهاية في الهوى وأتعبتُ فيكِ النازلات نزالا

وأعملتُ قلبي في غرامك خالصًا فكان نصيبي فجعة ونكالا

وأصبحتُ أضنى ما أكون حشاشةً ... وأضيعَ آمالاً وأسوأ حالا
وأدمى فؤادًا حيثما جرَّني الهوى ... جررتُ ذيولَ الحادثات طوالا

* * *

زجرتُ فؤادى عن مصانعة الورى ... فإنهم قد ضايقوه مجالا
وقلت لآمالي ردِى العيشَ أنه ... لأظمأُ حيٌّ من تورَّد آلا
ومتعتُ جسمي باللذاذات برهةً ... أبدد أخلاقًا وأبذل مالا
فعدتُ وقلبى كارهٌ متجنبٌ ... وما نلتُ إلا حطةً وكلالا

* * *

ألا بئس عيش الصابرين على الأذى ... يوالون دهراً بالمصائب والى
لقد ثكلوا الآمال ... هل عجبٌ إذا ... غدوا ولهم حزنًا وجوهُ ثكالى
فلا تنتظر عَوْدَ السرورِ وإنما ... خذ العمرَ نهبًا والحياةَ قتالا
تلقَّ المنى كيف استهلت وإن تكن ... مناك على ما ترتجيه ضئالا
فها أنا لاقيتُ الشقاءَ متممًا ... له فى دياجى النائباتِ وصالا
أعيش لأن الموتَ عنى غافلٌ ... وأضحكُ حتى لا أنوحَ خبالا
حملتُ هموم الحبِّ حتى تخرَّمَتْ ... قواى عواديه فصرتُ خيالا
وأصبحتُ عنوان الشقاءِ مجسمًا ... وأصبحت للبؤس الصميم مثالا
ومن أنا أهواه يظلُّ منعمًا ... سعيداً على الدنيا يتيه دلالا
إذا قمتُ أشكو لا أرى لى مؤاسيًا ... به ويقول الناسُ زاد وغالى

فبُـدِّلْتُ شـوكَ الحب من بعـد زهـره   وبُـدِّلـتُ من نـور الحـيـاة ظـلالا

وأصـبـح ذاك الصـبـحُ ليـلاً مـخـيـمًـا   وصـارت بـه تلك الرياضُ رمـالا

أأبـقـى كـذا حـتى أمـوتَ وربـمـا   إذا مـتُّ لـم أفـجـع بمـوتـى آلا

٥ و ٦ ديسمبر سنة ١٩١٣

* * *

أنـــــا

تُسـاءلنى عن منشـئى ومـواطنى ... فـقلت لها فى الناس مالى ثانى

أَبِى آدمٌ والأُم حـواءُ إنـمـا ... فـؤادى لا أهـلٌ ولا أبـوان

تلقيتهُ من مهبط الوحى ساكبًا ... عـلىَّ ضـيـاءً بـاهـر اللمـعان

أفـاضـتـه أمُّ النور يوم أفاضـهـا ... الإلـهُ فـجـاءت فى أتـمّ كـيـان

وثـبَّـتَـهـا فى اللانهـاية آمـراً ... على بعضـهـا الأفلاك بالـدوران

لها الشمسُ قطبٌ قد تنظَّمَ حولها ... عـرائسُ تجـلوها بحـسنِ بـيـان

فـصدرى أفلاكٌ وقلبى شـمسُـها ... سـرورى وحـزنى ذانك المَـلَوان (١)

هَمَـمْـتُ كـأنى شـعلةٌ أبـديةٌ ... إلى مـسـتـقَرِّ الخلد بالطـيران

جُبِلتُ كما لا تعلمـين فـإننى ... أخـو كل جـيـلٍ وابنُ كل زمـان

٩ فبراير سنة ١٩١٤

* * *

(١) الليل والنهار .

تعزية

إلى الصديق الكريم جاد بك فهده فى وفاة شقيقه
الطبيب المرحوم داود فهده

ماذا يفيد المرءَ مدمعهُ   ينصبُّ والأحشاءُ تستعرُ

هل تُرجع الماضى الدموعُ وهل   تُحيى الذين طوتهم الحفر

لم تشفِ من يأسٍ وكم نهكت   جسمًا فزال شبابُه النضر

والدمعُ إن جاشت غواربهُ   لغةُ النفوس وسرُّها الحصر

تقذى وتحمرُّ العيون به   فكأنما بجفونها شرر

هذى المنى تجرى على قدرٍ   يروى الذى يجرى به القدَر

والنفس كالأفلاك إن أفلت   فيها النجومُ وغُيِّبَ القمر

ضلَّ السبيلَ السَّفْرُ وانقطعت   آماله !.. وحياتنا سفر

* * *

يا من ينوحُ على فراقِ أخٍ   اللّه يجزل أجرَ من صبروا

المرءُ ليس مخلداً أبداً   ومماتُه لا بد منتظر

والراحة الكبرى إذا طويت   أيامُه والعينُ والأثر

كم نائم فى القبر يحسده   عالى السرير وليلُه سهر

ومقطبٍ فى اللحد يغبطه   متبسمٌ وفؤادُه ضَجِر

حـيٌّ وكـل حــيـاتـه حـذرٌ ... والـقـبـر لا أمـنٌ ولا حـذر

الموتُ مـرحـمـةٌ وألـيـنُ مـن ... بسط الحرير الـتـربُ والحجـر

* * *

إن كـان قـد كـبـر المصابُ بـه ... فـلأنـه مـن مـعـشـر كـبـروا

قـصـرت لـدن قُـصـفـت شـبـيـبـتـه ... إن الشـبـيـبـة عـيـبـهـا القـصـر

والزهـر إن نـضـرت مـبـاسـمـه ... تأتـى السَّمـومُ فـيـذبل الزهـر

كـان الطـبـيـبَ فـلـم يـفـده وقـد ... صـال الحـمـامُ وحـارت الـفـكـر

كـان الذى يـسـلـى الـضـعـافَ إذا ... ذلُّـوا وقـام الـدهـر يـنـتـصـر

كـان الذى يأسـوا الجـراحَ إذا ... نغلت وأفـسـدهـا الـدم الكَـدِر

يَجْـتَـثُّ مـبـضـعـهُ مـفـاسـدهـا ... حـتـى تـعـودَ الـروح تـنـتـشـر

الـيـوم عـوفـى مـن مـتـاعـبـه ... وكـأنـمـا مـنـه انـقـضـى الـوطـر

إن الـطـبـيـبَ اللّـهُ خـالـقـنـا ... ودواؤه فـى الخـلـق مـشـتـهِـر

مـا صـحـة الإنـسـان غـيـر ضـنًى ... فـى تـيـه كـونٍ كـلـه غِـيـر

والـعـيـش داءٌ لا دواءَ لـه ... إلاَّ الـردى وبـه اشـتـفـى البـشـر

لو لـم نَـمُتْ لـم نَحـىَ فـيـه فـيـا ... لـلـنـفـع يـجـلـبُ ذلـك الـضـرر

* * *

سـلـم إلـى الرحـمـن فـهـو يـرى ... مـا لا تـراه عـقـولُنـا الـحُـسُـرُ

واذكـر أخـاك بـكـل مـحـمـدةٍ ... فـهـو الـذى أيـامُـه غـرر

قـد عـاش فـيـنـا واسـمـه رجـلٌ ... ومن الـرجـال كـأنـهـم صـور

٢٠ مايو سنة ١٩١٤

شَكْوى

يا ربِّ قد طال السقامْ		فإلى مَ لا يأتى الحمامْ
وعلى مَ فى وادى الدموعِ		أعيش يُفنينى الضرام
أرجو من الحُبِّ الشفاءَ		لعله يشفى الأوام
والقلبُ بيتُ اللانهاية		ما له غير الغرام
أَطلقه يا رباه يلق الحب فى دار السلام

* * *

إنى خرجت إلى الوجود		فلا وراءَ ولا إمام
أمشى كما يمشى المسافر		تحت أذيال الظلام
فى مأزق لا أعرف المبدأ البعيد ولا الختام
فانهار بى جرفُ الحياة		إلى حضيض لا يُرام
وعدا الزمان بما أعدَّ		من الملمَّات العظام
سودٍ دواهِم وقعهنَّ		أشد من وقع السهام
ولقيتُ خلقًا كل أمرهم		التنازع والخصام
لا يفهمون لعيشهم		معنى التجامل والوئام

فُطروا كما فُطر الكبـاشُ	على التناطح والصدام

فرأيتُ آمالي شعاعًا	طار في ذاك الزحام

وعلمت أن سعادة الدنيا	مصانعةُ الأنام

وأبى لي الطبعُ النزيهُ	مودةَ القوم اللئام

فكأنني في الناس جزءٌ	ما له بهم التئام

إن متُّ لم يحزن محبٌّ	أو حييت فلا ابتسام

فبكيت لكن هل تعيد العمر أدمعي السجام

وأسفتُ أني لم أنل	حظي ولم أقض المرام

أسفَ الطريد على مواطن	كنَّ جناتِ السلام

مثوى جدود نخبةٍ	ومبيت أحباب كرام

وحسدتُ فرخَ الطير حين	إلى جناحِ الأمُ نام

وحسدتُ تربَ الأرض إذ	منه نضيرُ الغصن نام

وحسدتُ أنفاسَ النسيم غدا بها عَبَقُ الخزام

وحسدتُ أزهار الجنائن حين ضمَّتها الكَمام

ضاقت عليَّ الكائنات فلا قرارَ على مقام

اغدو وحالاتُ التيقُّظِ مثلُ حالاتِ المنام

لم يبقَ من جسمي سوى	ما أبقت الكُربُ الجسام

نفسٌ يُردّده الفَناءُ	على ضريحٍ من عظام

* * *

إنــى زهـــدتُ فــلا رجـــاءَ فـــــــهـل أعــودُ ولا دوام

من كَـــان يخـــشى منتــهى التَّـعْـسِ الـملمِّ فـلا مــلام

ربـــاه عــــــفــوك إنــنى أدعـــوكَ يـــا ربَّ الأنـــام

فـــمـتى أمـوتُ وأسـتـريحُ وينـقـــضى هـذا الـسـقـــام

وأقــولُ فـى قــبــرى عــلـى الدنيـا ومـن فـيـهـا الـسـلام

١٥ يوليو سنة ١٩١٤

* * *

زهـــرةُ القَــبر

إلى أ ... أ ...

قـفى فـوق قـبـرىَ وابـكى تُعـيـدى تـرابى بـمـاءِ الدمـوعِ خـصـيـبـا

ويـخـضـلُّ منهـا فـيُـنْـبتُ زهـراً أغـرُّ المحـيـا نـضـيـراً رطـيـبـا

تُـغـذّيـه أَعـظُـمى الـراقـداتُ لتـجـرى الحـيـاةُ بـه ويطـيـبـا

إذا مـا انتـشـقتِ الشـذا فـهـو حـبـى – تَسَـرَّبَ فى الزهـر نفـحًـا وطـيـبـا

لئـن حَـلَّل المـوتُ عنصـر جـسـمـى فـأصـبح تحت التـرابِ مـريـبـا

فـإن غـرامَـك بعـد ممـاتـى هنـالك حىٌّ ينـاجى الغـيـوبا

سـأرسـل روحِـى تـزوركِ فـاصـغى إليـهـا تحنُّ لـديكِ وجـيـبـا

أُصـيِّـرهـا مـلَـكًا حـارسًـا تقـيـكِ وتدفـعُ عنـكِ الخطـوبا

وإن زرت قـبـرى خـذى زهـرةً هى الـذِّكـرُ عنـكِ إلىَّ أنـيـبـا

فـمـا زهـرةُ القـبـرِ إلا ابتـسـامُ مـحـبٍّ بـه يسـتـزيـر الحـبـيـبـا

٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٤

* * *

العقدُ الأسود

لبِستْ في الجيدِ عِقداً أسوداً ... كلما أبصره القلبُ يذوبْ

إنما السلك هوىً متصلٌ ... ولآلي العِقْدِ حبّاتُ قلوبْ

٤ نوفمبر سنة ١٩١٤

* * *

النَّجــوى

لا تســألينى عن حيــاتى فـقـد		وضــعــتُـهــا فى يدكِ اللاهيــه
والقلبُ والـروحُ تصبّــتـهـمــا		مــقلتُـك الفــاتنـةُ الســاهيـه
واللّـهِ لا أملكُ مــن مــهــجــتى		غيـرَ شكايات النهى الشـاكيه
ومـن فــؤادى غـــيــر إيغــالـه		فى اليــأسِ والجـهـلةِ الداجيــه
ومِن مداعى العمـرِ غيـرَ الأسى		والبــؤسِ والنــازلة الـداهـيــه
من لى بأن تلقــيـَنْـنِى بالرضى		ألـقَ المنــى زاهـــرةً زاهـيـــه
فـأســتـعـيـدُ العــمــر من بـدئه		مـســتـدنيًـا آمــالى النـائيـه
مـســامـحًـا دهـرى عـمـا جنى		مــرتجــعًـــا أيّـامى الخــاليـه
إذن أَحــبَّ القلبُ أســـقــامَــهُ		كــأنهــا صــحـتُـه المـاضــيـه
وجـدَّدَتْ نـفـسى شـبـابى الذى		أهرمت فى العشرين يا قاسيه !...

* * *

أراك فـى نجـــواى مـــغـــمــورةً		بـالنـور تجـلوكِ المنى الجـــاليــه
طــائرةً فـى رائـعـــــات السـنى		خـــاطـرةً فـى الحـللِ الراضـيـه
كــربـةِ الشّـعـرِ وقـد رفــرفت		فـى أفــقــهــا باديـةً خــافـــيـه

طلعتِ في منطقةٍ حولها آلهةٌ رائحة غاديه

مجنحو الأوساط مستكملو جمالَ أنوارهم الصافيه

مؤتلقو الأوجه ألحاظهم ترد صولات الدجى العاديه

منك استعاروا الحسن كالأنجم الزهراء أبهى حسنها عاريه

أقيم عرشٌ أنتِ من فوقه بينهم آمرةٌ ناهيه

مد شعاعًا في السما أصلُها وفرعُها في الأبحر القاصيه

صفا وحنَّ البحر إذا أشرقت سماؤك الصافيةُ الحانيه

بينهما قد نشرت عطرها ثغورُ هذي الروضةِ الزاكيه

أزهارُها الآمالُ مجلوَّةً حلَّى الضحى أوجُهها الناديه

إذا أنا استجليتُ حبي على تموُّجات النغمِ الساريه

مسائلاً عينيكِ مستشفيًا إليهما من مهجتي الصاديه

مُجَرَّدًا عن كل حسٍّ لدى أوصافِك النادرة الساميه

عليلَ قلبٍ لا تُؤاسيه في هواك إلاَّ العلةُ الآسيه

على شفيري جدثٍ عابسٍ وجنةٍ ضاحِكةٍ باديه

يخالساني نظرًا عانيًا يجاذباني نفسي العانيه

بينَا أرى الحبَّ بعيدَ المدى تُقلُّه أيدي السنا العاليه

إذا بنفسي في بحارِ الأسى والليلُ أرخى الظُّلَم الغاشيه

* * *

يا منيتي هذي حياتي وما حوتهُ في المنطقةِ الراقيه
العرشُ قلبي قد ترقيته قام على آمالي الجاثيه
حَفَّت بكِ الأحلامُ فضيةً ترسلها أجفاني الباكيه
كأن نفسي إذ تملكتها تحوَّلت فيكِ مني حاليه
وكلٌّ ما ازدانت حياتي به من آيةٍ باهرةٍ باهيه
مكتسبٌ منكِ الجمالَ الذي أولتْكه أيدي الرضي الناديه
أما إذا عادت إلي أعيني حقيقةُ الذاكرة الناسيه
وانتبهت نفسي إلى نفسها كما ترفُّ المُقَلُ الغافيه
عُدْتُ إلى الليل وعادت إلى قلبي جراحاتُ الأسي الداميه
وهكذا العمرُ أكاذيبُه متاعُ هذي الأممِ الفانيه
فإن تراءى صادقًا ابصروا ما يفجعُ الآمنةَ الهانيه
والحبُّ في العمرِ طلاءٌ كسا فواجع الكارثة الخافيه
فأحسني زخرفه بالرضي إن الرضي غايةُ آماليه

٥ و ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤

* * *

شــــرحٌ مُـوجـــزٌ

أتغــضــبــيــن لقــول ٍقلتُـه عــرضًـــا ... مــا كنتُ فــيــه مــسـيءَ الظَّن والفِكرِ
ومــا أردتُ سوى المزحِ البــســيطِ وقـد ... فــهــمــتـه خطـأً من شــرح مــخــتــصــر
لأن ذكـــــرَ الذى قـــد فــــاتَ يؤْلمنى ... ولـن تـرينـى يـومًــــا غـــيــــر مـدَّكــر
والـقـلبُ تقــتـلـه الـذكــــرى إذا نزلت ... منه علـى مـــوضعٍ بالـوجـدِ منفـطـر
إنـى أحــــبــك حــــتـى لا قـلـوبَ ولا ... أرواحَ خــافــقــةٌ بالحب فى البــشـــر
فَـلـمْ تـكـذّبـنـى عـــيـنـاكِ ضـــاحـكـةً ... وفـيـهـمـا لـى نـور الـشـمـس والقـمـر
وأنـت نـورٌ ونـارٌ إن صـــفــــوتِ وإن ... كـدرت : حاشـاكِ من صفو ومن كدر
وإنــمــا فـيـك مـعنًى يا سـعـادُ غـدا ... مُـبَـرأً من مـعــانى النفـع والضــرر
مـحضُ الـسـعـادة غـذّاها الرجـاءُ وقـد ... بـاتـت بـأمْـنٍ من الأحـداثِ والـغــيــر
فَـلِمْ أُروحُ شـــقـــيًّــا فـى هـواكِ ولـم ... أوقــفـــتِـنـى بــيــن وردِ الموت والـصــدر
سلـى الـلـيـالـى عـن حـزنـى وعـن ولـهى ... وعن همومى وعن دمعى وعن سهرى
أطوى الضلوعَ على قلبٍ وهى وحشًى ... كــأنـهـــا عــبــرةٌ من أفــجـع الـعــبـر
أخنـى الـزمـانُ علـى جـســمـى فَـفَـتَّـتَـه ... سقـمًـا وأشـرقـنـى بـالـسـائـغ الخـصـر [1]

---

(١) ساغ الشراب سهل مدخله ، والخصر بفتح فكسر البارد .

وكل شيءٍ له رسمٌ يصوره فالبؤسُ صرت له من أصدق الصور

إنى لعينيكِ ألقى الدهرَ مدَّرِعًا بما تمليتُ من عزمٍ ومصطبر

يزيدنى البؤسُ فهمًا بالحياة إذا ما ازددتُ علمًا قرنتُ الخُبْرَ بالخبر

نظام من خلَقَ الدنيا وسنَّ لها هذا النظامَ وأجراه على قدر

* * *

للناس شمسٌ ولى شمسان واحدةٌ من الكواكبِ والأخرى من البشر

حسناهما شَرَعٌ لكن أحبُّهما إلىَّ فاتنتى باللفظِ والنظر

والناسُ قلبان قلبٌ طار طائرهُ مع النسيمِ وقلبٌ قُد من حجر

هذا يعيشُ بلا همٍّ ولا كدرٍ وذاك يبقى حليفَ الهمّ والكدر

وإنَّ أولاهما بالسعدِ لو علموا من لا تفارقُه أنفاسُ محتضر

كذاك قلبى وفيه يا سعادُ ثوى هواكِ فاحتكمى ما شئت وائتمرى

١٠ سبتمبر سنة ١٩١٤

* * *

العــزمُ المتـلاشـى

إذا ضجَّ فى صـــدرى الغـــرامُ وثارا ... حـسـبـتُ ضلوعى قد علقنَ شـرارا

فــعُـدْتُ إلى الدمع المبـرّدِ لوعــتى ... أخـــففُ آلامًــــا وأطـفئُ نــارا

وعــاملتُ قلبى بالمداراةِ مــثلمـا ... يُعــامَـلُ طفـلٌ مـــوجَـعٌ ويُدارى

* * *

أهاجــرتى قلبًـا وعنـدىَ أنـسـهـا ... إلا ليت هذا الإنس كــان نفــارا

وكـــان فـؤادانا تـصـافى هواهـمـا ... فـحـلاَّهـمـا الحبُّ الأكـيـدُ سرارا

فـمـا تنفـعُ الـدارُ القـريبـةُ بيـننا ... وروحُك عن روحى البـعـيدةُ دارا

فـقدتُ المنى لمـا فـقدتُ صبابتى ... لديكِ وراح العـمـر فـيكِ خسـارا

أرى أملى السـاجى بعـيدًا كـأنـه ... شـعـاعٌ ضئيلٌ فى الغـيوم توارى

وأيامَ عـمـرى قـد تناثرنَ مـثلمـا ... تـنـاثَـرُ أوراقُ الغــصـون أوارا

إلا أن أيامى الحـسـان استـمـدها ... فنــاءٌ على الماضى يمد ستـــارا

تمر بى السـاعــاتُ سودًا طـويلةً ... وفى إثرها تمضى السنونُ قـصـارا

يقلبنى هـذا الزمـــانُ فـلا يرى ... مكانًا بجـســمى من أذاه مـدارى

وتبـدو سمـاءُ الصـيفِ صافيـةً فلا ... أرى قـــمــرى بعـد العـشىِّ أنارا

تعذبني الذكرى إذا هي حركت ... جوًى تتغذّاه الضلوعُ حرارا
فأهتزُّ من يأس وبؤس كأنني ... شربتُ بكف الشاكلات عقارا

* * *

إذا كان يجدى الفخرُ فى الحب عاشقًا ... فإنىَ سبّاقُ اللدات فخارا
وإني لذو القلبِ الكبير وصاحبُ ... المروءة طبعًا والكريمُ نجارا (١)
ونفسى هي النفسُ التي يستميلها ... جمالُ الصفاتِ المنشئاتِ كبارا

* * *

أيُرضيكِ ذلي بين صحبي وأنني ... بلغتُ من الجهدِ الجهيدِ قصارى
وما كان قلبي بالقليل اصطبارُه ... ولكنه بعد القطيعةِ صارا
وكان الذي يلقى الحوادثَ باسمًا ... إلى أن تعودَ الحادثاتُ حيارى
تَصبّتُه في المهدِ العظائمُ فانبرى ... لهنَّ مثيرًا فى الرهان غبارا
إذا كان بعضُ الناس يفعل فعله ... يسرُّ به خلاًّ ويعجبُ جارا
فغايتُه القصوى رضاكِ وأنه ... لذلك قد بَزَّ القلوبَ وبارى
وأدركَ ما لا يدركُ الناسُ بعضه ... وصار إلى الغايات ليس يجارى
ولكن هذا الهجرَ أضعفَ عزمَه ... وصار له دون البلوغ عثارا
فإن كان لا يرضيكِ إلا شقاؤه ... فها هو قد ألوى عليه صغارا

* * *

(١) النجار : الطبع والمنبت .

ألا إننى ســـــارى الظــلامِ بدا لـه ... مــحـيــاكِ فى جنح الظلام منارا

ومــا الليلُ إلا العــمــرُ والحبُّ نـورُه ... عليــه مــشى ســارى الظلامِ وسـارا

فـإن تقطعى فـالعـمـر خـابٍ منـارُه ... وإن تَصلى صـــار الظلامُ نهـــارا

٣ و ٤ ديسمبر سنة ١٩١٤

* * *

أبو قـــير

أبو قـــــيــــر (١) والأمسُ لا يرجـعُ ... عــفـتِ فـيـك من بعـدنا الأربـعُ

وهُـدّت خـيــــامُ المصـــيف فـلا ... ظـلال بـأكـنـافـــهـا يـطـمـع

وقـــد طـرد الناسَ عنك الخـريفُ ... فـأوحــشـك الـمـؤنسُ المقـلـع

واغـــضـبِ بحـرَكَ هـجـرانُـنـا ... فـجـاش بـه الموجُ يستـدفـع

ورُوِّع حــــصنُــك وهـو الأشـم ... يـحــــاذره الـبـطــلُ الأروع

ولـم يخــفـقِ الـعـلمُ المسـتطيـلُ ... عـلـيـك وحـراسُـه هـجـع

وقـد صـرت يأوى إلى شـجـراتك ... وحـشُ فـلاةٍ بـهـا يـظـلـع (٢)

فـجرَّت على وجهك الرامسـاتُ (٣) ... ذيـولاً هـى الـكـفـنُ المفـجـع

* * *

---

(١) هذه اللفظة أعجمية لذلك آثرنا استعمالها كأنها لفظة واحدة مغفلين التركيب فى إضافة أب إلى قير حفظًا لصدق رنتها فى الأذن .

(٢) ظلع : غمز فى مشيه .

(٣) الرياح الدوافن للآثار .

ليالي أبو قير أين الليالي — وأين النجومُ التي تلمع
وأين الهلالُ وكان مساءً — على البحر من خيمةٍ يطلع
أغار أخاه بكبد السماءِ — مُكَوَّنُ بهجته المبدع
وتسرح فوق الرمالِ الظباءُ — على شاطئ البحر تستتبع
عيونٌ تغازلها أعين — قدودٌ تطوقها أذرُع
نواعمُ كالأغصن الناعمات — فوائحُ كالعطر يَضَّوَّع
طوالعُ بعد العشيّ شموسًا — ترافقُها الأنجمُ التبع
نواشرُ فوق المتون ليالي — الشعورِ وهنَّ الدجى الرُّوَّع
جوالسُ فوق الصخور غصونًا — على الصخر نضرتُها تمرع
سوافرُ عن فاضحاتِ البدور — ضواحكُ عن درر تسطع
سواحرُ لبٍّ سواءٌ أخو — الهداية والعاشقُ المولع
سواهٍ لواهٍ بملكِ الجمالِ — لهن الخلودُ وما يتبع

* * *

وليل به بتُّ مستلقيًا — على الرملِ والجفنُ لا يهجع
تحيَّرُ فيه النجومُ كما — تَتَحيَّرُ في المقل الأدمع
يداعبُ وجهي نسيمُ المساءِ — وترمقني الخيمُ الخُشع
بما علّقوا من سراجٍ منيرٍ — على بابها نورُه أسفع
وقد وقفَ الحصن طودًا منيعًا — يؤَمِّنُ من قلبُه يهلع

وســـاد السكوتُ كـــأن البـرايا مظنَّـــاتُ أنفـــاسهـــا تـنـزع

فــحـدَّثنى الصــخـرُ عـــمـا رأى وأســمـــعنى الـمـــاءُ مـا يـســمع

حـــوادثَ ملءَ الزمـان اسـتـــقلَّت على البـــحـــر أحـرفُــهـا تـطبـع

مــــسـطرةً بـالـدمـاءِ خطـوطًا عـــصىٌّ بـهـــا النـاظـر الطـيِّـع

فـــتــقـرأهـا فى الظـلام عـيـونُ الفــؤادِ وتـضـمَـنُـهــا الأضــلـع

* * *

أســاطيـل تحـسـدها الراســخـاتُ تـســيــــر الـريـاحُ بـهـا الأربــع

تَـروع البـــحـارَ إذا مـا جــرت فــفى قلبــهـا الحـوتُ مـسـتـفـزع

تُـقـلُّ جـيـوش المنـايا اسـتـثـارت ومــــصــرُ لـنَسـرِهـم مـوقـع

* * *

رمى بالمـــاليـك حـتى تشـتـت شــمـلُهـم فــهـو لا يجــــمـع

وجـــاءَتـه كـلُّ وفـودِ الـبـلاد تبـاعًــا لإمـرتـه تـخـــضـع

ولـكـن كـــبـارُ الرجـالَ يـرون بأتبـاعـهـم صـمـمًـا إن دعـوا

كــذلك خـالف أمـرَ الـكـبـيـرِ أمــيـرُ المـيـاه (١) فــمـا يـسـمع

وألـقـى مـراسـيـه فـــيـكَ لا يـبـــالـى الـعـــدوَّ ولا يـفـــزع

---

(١) قالوا : إن لفظة أميرال الفرنسية لا بد أن تكون مقتبسة من العربية من قولهم : « أمير المياه » لتناسب اللفظ ولعلها كذلك .

فـــيـا يـومَ فـــاجـأه الإنجلـيـــزُ عـــلـى رأســـه حُـــومٌ شُـــرَّع [1]

فـــدمـدمَ فـى أفـــقـسـيـكَ الرصـاصُ وأرعـــد فـــى بـــحـــرك المـــدفـــعُ

---

(١) لمحة تاريخية : نشبت معركة أبو قير البرية فى غرة شهر أغسطس سنة ١٧٩٨م وكانت العمارة الفرنسية راسية فى مياه أبو قير ومعظم رجالها مسرحين فى البر أو فى الإسكندرية أو فى رشيد غافلين عن الطوارئ . وكان الجنرال بونابرت قد أكد على قائدها الأميرال برويس بالالتجاء إلى ثغر الإسكندرية أو الإبحار إلى جزيرة كورفو تهربًا من مفاجأة العمارة الإنجليزية لها مفضلاً تشوب معركة بحرية فى عرض البحر على نشوبها فى بعض المراسى . ولغير ما سبب أغفل الأميرال برويس هذا الأمر وظل بعمارته فى مياه أبو قير ، وفى منتصف الساعة الثالثة من ذلك اليوم طلعت على أفق أبو قير عمارة الأميرال نلسن ناشرة أشرعتها مؤلفة من إحدى عشرة قطعة تتبعها قطعتان أخريان كانتا غربى الإسكندرية ما وصلتا إلى أبو قير إلا بعد الساعة الثامنة . وكانت العمارة الفرنسية مؤلفة من عشرين قطعة ونيف فما دار فى خلد أحد من قادتها أن يجازف نلسن بالمعركة ، بل فكروا جميعًا أنه يرجئها إلى غداة الغد . وقد دهش نلسن عندما قرب من العمارة الفرنسية وصارت مراكبه فى إمكان مدافعها كيف أنه لم يبدأ بالقتال ، لذلك أمر كل قطعة من عمارته أن تهاجم مثلها من العمارة الفرنسية ونشب القتال فى الساعة الخامسة . أما الأميرال برويس فإنه تعجَّل إصدار أوامره إلى المراكب والرجال ولكنها لم تنفذ بتمامها فكان إهمال القادة التابعين له وإزراؤهم بالقوة الإنجليزية عاملين على انخذالهم . ولازم الأميرال برويس مرقبه من المركب لوريان «الشرق» وتفانى فى تنظيم الموقعة وفى التحريض والشجاعة وجُرِحَ ثلاث مرات فلم يُغادر المرقب حتى أُصيب فى الساعة التاسعة بقذيفة أودت بحياته . وفى الساعة العاشرة اشتعل مستودع البارود على ظهر المركب لوريان وهو أكبر مراكب العمارة فانفجر وكان انفجاره رائعًا إلى حد أن المعركة وقفت نصف ساعة بعده . ثم استأنفت المراكب الفرنسية إطلاق النار وكانت رحى المعركة دائرة على مسمع من الكونتر أميرال فيلنوف قائد مركب العدل (جوستيس) وأربعة مراكب أخرى راسية فى ثغر الإسكندرية فلم يبادر هذا القائد إلى نجدة رفاقه معتذرًا فيما بعد بأنه لم يتلقَّ بذلك أمرًا ... واحتدم القتال بين المراكب إلى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ثم فتر قليلاً إلى الساعة الخامسة وعاد سيرته من الاحتدام إلى الساعة الثانية بعد ظهر الغد وقد قُضِيَ الأمر ودُمِّرت المراكب الفرنسية ، وفى تلك الساعة فطن الكونتر أميرال فيلنوف إلى القتال =

وطبَّقَ في جانبيك الدخانُ كأنَّ الجهاتِ لُهى جُوَّع

= الناشب منذ ثماني عشرة ساعة ، فنشر أشرعة مراكبه وأقلع هاربًا وبقى الإنجليز أربع وعشرين ساعة بعد انتهاء المعركة وليس في مقدرتهم إطلاق مدفع واحد على مركب فرنسي (التنّان : الراعد) كان لواؤه لا يزال منشوراً ، وقد سرَّ نلسن بهرب المراكب الأخرى ولم تحدثه نفسه باللحاق بها وقتل وجرح ثلاثة آلاف بحري فرنسي وثمانمائة إنجليزي .

ونمى خبر الرزيئة إلى بونابرت وكان قافلاً من الصالحية إلى مصر فكتمه أولاً ثم نشره على الجيش وأخذ يعمل على توطيد قدمه في القطر ولكي يأمن كل طارئ على جيشه من سورية راسل عبد اللّه باشا الجزار حاكم عكا يستميله إليه لكنما سبقه الإنجليز إلى ذلك وبلغه أن هنالك خطة ترمى إلى مناوأته فعقد العزيمة على غزوة سورية وكان ما كان من تلك الحملة التي فشلت بحصار عكًّا ثلاثة شهور وأغلق فتحها على بونابرت فعاد إلى مصر وقد أطمع دفاع عكا الإنجليز فحرضت الباب العالي على جرد حملة على مصر فتقرر إرسالها بقيادة سعيد مصطفى باشا الروملي مستعينًا بالكومودور سيدني سمث الذي ساعد عبد اللّه باشا الجزار في الدفاع عن عكا . وفي ١٤ يوليو سنة ١٧٩٩م أي بعد انقضاء عام كامل من تاريخ المعركة البحرية رست المراكب الحربية والمراكب الناقلة في مياه أبو قير فلم تزعج في تفريغ وسقها ونزل الجيش إلى البر وحاصر القرية واحتلها وأسر وقتل من في الحصن . وكان بونابرت في مصر فأبلغه هذا الخبر الجنرال مرمون قائد حامية الإسكندرية ، فغضب بونابرت لأنه كان قد أمر هذا القائد أن يهدم بيوت القرية ويزيد في الحصن خطًا أماميًا فما نفذ الأمر ، بل أبقى البيوت مباءة لبعض الجنود وأرسل بونابرت في الحال إلى الفرِق المنتشرة في البلاد بين بلبيس والصالحية ودمياط وأمرها بالاجتماع في الرحمانية وانتقل بأركان حربه إليها ، ثم قاد الجيش إلى بِركة غطّاس مشرفًا على بحيرة المعدية حيث اجتمع جانب كبير من الجيش التركي آمنًا غافلاً ففكر بمفاجأته لولا أن بعض الجنود ضل الطريق فأسره التُّرك وعظمت دهشتهم عندما علموا أن العدو على قيد بعض غلوات منهم ، فاستعدوا للقتال واستعد بونابرت وجعل أركان حربه في الإسكندرية وكانت الجيوش تبلغ ثلاثين ألفًا الترك وعشرين ألفًا للفرنسيين ، فأقام بونابرت الجنرال مورا على الخيل والجنرال لان على الميمنة واحتفظ بالقلب والميسرة وتحصَّن الترك في أبو قير وانتشرت فرقهم ثلاثة خطوط دفاعية تحميها المراكب الحربية الراسية في بحيرة المعدية وفي مياه أبو قير ، ونشبت المعركة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩م فدحرت المدافع الفرنسية مراكب البحيرة وزحفت إلى الأمام =

فـروَّى بحـارَك قـانى النجـيـعِ   وإنِ الـعُـطـاشَ (١) لـهـا أنجـع
واطعـمـها مـن تـجـاليـدهـم   لحـومَ الألـوف ومـا تـشـبـع
وأخّـرَ نـجـدتَـهـم جـاهـلٌ   من الخـوف مـهـجـتُـه تخـلـع
فـحـاق الـدمـارُ بهـم وكـذلك   تـهـوى الجـبـالُ وتـصـدَّع

* * *

شـفـى نفـسـهـم أنهـم أدركـوا   بـك الـثـأْرَ والمـوتُ لا يـقـنـع
أتى التـركُ من بـعـد حـولٍ لكى   يـردُّوا البـلادَ ويـسـتـنـزعـوا
عـديدَ الرمـالِ أتاهـم بونـابـرتُ   والـنـارُ فـى قـلـبـه تـلـذع
رمـاهـم بمـوج الحـديدِ قـضـاءً   عـلـيـهـم وعـنـهـم لا يـدفـع
فـسـل عن بسـالتـهـم مـصـطفى   وقـد جـاءَ مـورا بـه يـشـفـع

= وقبل اشتباك القتال كان بعض الفرسان الإنجليز يركضون بخيولهم أمام الخطوط الفرنسية ويبادلونها التحية والحديث مما أثار غضب الترك عليهم . على أن المعركة لم تطل أكثر من ثلاث ساعات حتى تشتت الجيش التركى وأبلت فرسان مورا بلاء حسنًا ، وقد قال بونابرت لمورا : « هل أقسمت أن تستأثر بشرف المعركة » ، وخاض مورا غمار الحرب إلى مصطفى باشا وطوّقه بمن معه من الانكشارية وتقدم إليه يسأله التسليم فأطلق مصطفى باشا طبنجته على مورا فأصاب حنكه الأسفل فضربه مورا بسيفه ضربة نثرت أصبعين من يده اليمنى وأمر فقبض عليه فارسان . أما الكومودور سمث فلم يلبث أن هرب مبحرًا إلى المراكب ونجا بمن معه وانجلت المعركة عن انتصار الفرنسيين ، فأسروا ألوفًا وغنموا أربعمائة جواد واثنين وثلاثين مدفعًا ، ومائة وعشرين صندوقًا من الذخيرة بأختامها ومائة علم ، وكذلك أعلام مصطفى باشا التى يقال لها الأذناب الثلاثة وغير ذلك من بقايا المعارك .

(١) داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يُروَى .

رمى بطنجته مصطفى فتًى قلبه الصخر لا يهلع

فقطَّ أنامله بالحسام مورا وجاءَ به يظلع

وأرسل فرسانه كالصقور والخيل في شوطها تمزع [1]

ومزَّق شملَ الجنودِ فما تبَقَّى لهم أثرٌ يتبع

فكانوا طعامَك في الحالتين لهم وعليهم بكَ المصرع

* * *

مضوا وبقيتَ تحدث عما أتوه فلم ينضبِ المنبع

فقل لي هل يرجعُ الغائبون وقل لي هل يفطم المرضع

يقولون عنك غداً بلقعًا على أن عمرهم البلقع

أرى الجامداتِ أطول عمراً من العاقلاتِ فما نصنع

وأنهم في المقال افتروا بما لفقوه وما شنَّعوا

وأعجبهم طالعٌ مشرقٌ وأعجبهم مورقٌ مفرع

فراحوا وشاعرهم مفلقٌ لهم وخطيبهم مِصقع

فماذا أفاداهم في الحياة والدهر في سيره يسرع

وكلهم في البلى صائر وذكرهم سُحُبٌ قشع

* * *

(١) مزع الفَرَس أسرع .

أبو قير أنت سمير الجليس ... ووعظك أبلغ ما يسمع

ورغم العفاءِ أراك رياضًا ... تسير بها النسم الضُّوَّعَ

سماؤك صافيةٌ وهواكَ ... يعيد الشباب ويسترجع

وبحركَ أجملُ ما يُجتلى ... وماؤك أَعذبُ ما ينبع

وحصنكَ عالٍ يرِفُّ عليه ... لواءٌ هو الشرفُ الأمنع

فدم سارحاتٍ بكَ الظبياتُ ... ودم كاملاً بدُرك المُبْدَعُ

ودم وارفاتٍ عليك الظلالُ ... وغُلَّةُ رائدها تنقع

تُرى راجعاتٍ لياليَّ فيك ... أبو قير والأمسُ لا يرجع

نوفمبر سنة ١٩١٤

* * *

صوتُ القَبر

إذا اصفر وجه الشمس في الغربِ وانتحى ظلامٌ على الدنيا يمد رواقَهُ
وأقبل بدرُ الأفق أربدَ كالحًا أضاع على الدنيا الخسوفُ ائتلاقَه
وهَبّتْ حزيناتُ النجوم جوازعًا ثكالي على بدرٍ رأين محاقه
أصيخي إلى صوتٍ من القبر خافتٍ أطال البلى تحت التراب اختناقه
بقيّةُ قلبٍ واجبٍ حَنَّ إذ سرى نسيمٌ إلى وجه الحبيبة شاقه
رهينٍ لدودِ الأرض يأكل جسمه ويُغرى عليه قيدَه ووثاقه
يُعانقُ أحجارَ الفناءِ كأنها مهودُ رخاءٍ يستطبْنَ عناقه
تخرَّم بردُ الداجيات عظامه وأكثَر حرهُ اللافحات احتراقه
وكان الذي وافى العظائم سابقًا فأحرزها حتى حمدن سباقه
علا ما علا حتى ترامت صروفه وباغته جيش المنون فعاقه
ونازعه هذا الترابُ بقاءَه وخَلّدَ ديجور الرموس فراقه
فناجاكِ وَهنًا والسكوتُ مضيّقٌ على كل قلبٍ صدرَه وخناقه (١)

(١) الوَهْن بفتح فسكون : الضعف ونحو من نصف الليل .

وقد حالَ هذا القبرُ دون حبيبه وأبعدَ عنه أهلَهُ ورفاقه

اطلِّى كهذا النجمِ حيران ثاكلاً وفى القبر بدرٌ قد رأيتِ محاقه . . .

٢ فبراير سنة ١٩١٥

* * *

نظـــرةٌ إلى الماضي

مـــــاذا يـريـد الـنــاسُ مـنـي　　　إن كـنـتُ قــد أكــثـرتُ حـزنـي

أفـنـيـتُ عـــمـري فـي الـبـكـاء　　　وفـي الـرجـاءِ وفـي الـتـمـنـي

ذهـبَ الـشـبـابُ ومـا مـلأْتُ　　　بـنـوره قـلـبـي وجـفـنـي

* * *

يا منـزل الفـتـيـان والفـتـيـات　　　ضـاعـت عليكَ شـبـيـبـتـي وحـيـاتي

وبقيتُ فيك مخلَّدَ الحسرات

* * *

إنما العـمـر الطـويـلُ　　　يشـبـهُ العـمـر القـصـيـرا

إنمـا الحـظُّ الـقـلـيـلُ　　　يشـبـه الحـظَّ الكـثـيـرا

* * *

ودفنتُ فـيـك مـودتي ووِدادي　　　وأطلتُ عنكَ تغـيُّـبي وبعـادي

وجـهلتُ بعدكَ موردَ اللـذات

* * *

فَطَمونى عنكَ طفلا لاهيًا فى غفلاتى
تاركًا صحبًا وأهلا تاركًا فيكَ حياتى

* * *

فنزلتُ فى أرض الغريبِ وحيدا متحملاً بأسَ الزمانِ شديدا
طاوى الضلوع على لظى الجمرات

* * *

إننا كنا جميعًا ستةً أُمًّا وأَبْ
رزقا أربعةً غُرًّا ميامينًا نُجُبْ

* * *

فتفرَّقَ الأبناءُ قبل أوان أسفًا وغيِّبَ فى الثرى الأبوان
فى فترةٍ حُسِبا مع الأموات

* * *

دفن الأبناءُ بدرًا دفن الأبناءُ شمسا
قد أعاد الجفنَ بحرًا وأعادا القلبَ رمسا

* * *

هلا ذكرتَ أبى وطول حنانه وسناءَ طلعته وحُرَّ جنانهِ
وكمال أخلاقٍ وغرَّ صفات

* * *

كـــان لـم يُبـلِ الشـبـابا مــشـرقًــا كـــالـنـيِّـرات
إنـــه صـــــار تــــرابـــا وعـظـــامًـــــا نـخــرات

* * *

فـــذكـت عـلـيــــه أضـالعٌ ونفـوس أخـذت علـيــهــا للشــقـاءِ نحــوس
عـهـدًا عـلى أن تـسـكـن الظلمـات

* * *

يا لـهـــا اللّـه نفـوسًـــا حُــرةَ الـطـبــعِ كـــــريمـــه
حــالفت ياسًـــا وبـؤسًـــا وجـــراحـــاتٍ ألـيـــمـــه

* * *

لـم تنسَ أمي وهـي جـوهـرة الحــمـي بنتُ الطهـارة أختُ سكان السـمــا
نـزل الكـمـــالُ بـهـا بـأكـرم ذات

* * *

إنـهـــا عــــاشـت حـزيـنـه بـعـده عــشـرين شـهـــرا
وهــي لـلـــداءِ رهـيـنـــــه تحـــــسب الـلـيـلـة دهــرا

* * *

نزل السـقــامُ بهـا فـأكـثـر همَّـهـا وأزال رونقــهـا وأبلى جـســمــهـا
وغـدت كـذابـلة مـن الـزهــرات

* * *

فقضتْ ذاتَ مساءِ		وابنُها في البعدِ مُكْرَه
في ديارِ الغرباءِ		لم تباركهُ بنظره

* * *

اليوم يذكرها ويبكي آيسًا		من عمره ذاكي الأضالع تاعسا
دامي الجفون مفلَّلَ العزمات

* * *

إيه يا أم جياتي		ذهبت فيكِ أنينا
صامتًا في خلواتي		أذرفُ الدمعَ السخينا

* * *

أتذكر العيشَ القديمَ وكلنا		يلتفُّ حولكِ ناعمين بأنسنا
لاهين عن دهرٍ وعن أوقات

* * *

قاتلَ اللهُ القضاءَ		لم يراعِ لكِ حرمه
إنه صبُّ البلاءَ		قاتلاً من غير رحمه

* * *

لو كنتِ بالمهجات توقين الردى		يا أم قلْتُ أن تكونَ لك الفدا
فتمَنَّعين بهذه المهجات

* * *

لـيـت إنــي مــا ولـــدتُ ‏ مــا الذى فى العــيشِ ألقى
إنـــا يـــا أم وجــــــدتُ ‏ إنـــنــى يــا أم أشـــــقـــى

* * *

كنتِ الأمــان لـروحى المتـــفــزعِ ‏ كنت الشـفـــاءَ لقـلبى المتـــقـطـع
كنتِ الحياةِ إذا فـقـدتُ حيـاتى

* * *

إنَّ قـــلــبَ الأم كــــنــــزٌ ‏ كـلـه حـب وســعـــــــدُ
وهـــو بـيـــن الـنــاس رمــزٌ ‏ فـــيـــه لـطـفُ الـلّـه يبـدو

* * *

لـكن فــقــدتُ حنـانه المتـدفــقــا ‏ يروى شـبـابى فى الحـيـاة ليـورقـا
مستبشراً بالـزهـر والثـمـرات

* * *

انـضــبَ الأدمـــعَ دهــــرى ‏ غــيــر أن الـنـفــس تبـكـى
بدمــوع مـــثـــل جـــمــــر ‏ فى الحـــشـــا تذكـو وتـذكـى

* * *

قـوى انـظـرينى بعد مـوتـك عــانيــا ‏ يا أم إنـى مـتُّ مـوتًا خـــــافــــيــا
لـما فقـدتُ لنـدبـك العـبــرات

* * *

من ليأسي واحتراقي ولبؤسي وشقائي

ما الذي صرتُ ألاقي من تباريح العناءِ

* * *

ضاعت عليكَ شبيبتي وحياتي وبقيتُ فيك مخلدَ الحسرات

يا منزلَ الفتيان والفتيات

* * *

ماذا يريد الناسُ مني إن كنت قد أكثرت حزني

أفنيتُ عمري في البكاءِ وفي الرجاءِ وفي التمني

ذهب الشبابُ وما ملأْتُ بنوره قلبي وجفني

فبراير سنة ١٩١٥

* * *

عـــزيزة

إن تكوني عـــزيزةً فـــعـزيـزٌ أن تكوني يا بنتُ في الشـــقـوات

ومـحـيـاكِ مـسـحـةُ الحزن فـيـه تُنزلُ اليـأسَ في القلوبِ القـســاة

واجـمٌ ذاهـلُ الـسكينـةِ عـينـاكِ بـه تبـعـثـان نـورَ الحـيـاة

* * *

انـزلوها منـازل الهـون خُـسـراً ثم قـالـوا صـارت من الفـاجـرات

مكروهًا وخـادعوهـا وأغـروها وقـالـوا غـدت من الهـالـكات

ورأوا في نسـائهم شـرفًـا لو نبـشـوه عـدوُّه في المخزيات

إنمـا عـذرهـا هُـمُ ونـسـاهـم عـذرهنَّ العـمى وقـبحُ الصـفـات

لستُ أرجـو لهـا اعـتـذارًا إذا مـا صـدع الحـقُّ قـارعُ المنكـرات

غـيـر أني أرى هنـاك اخـتـلافًا في الغـوايات يـفـرق الغـاويـات

وفـجـورُ الأجـسـام أيسـر خـطبًا من فـجـورِ النفـوسِ والعـاطفـات

وإذا مـا كـان الـسـبـيلُ سـويًّا بطل العـذرُ فـيـه للعـاثرات

إن شـرَّ الفـجـورِ مـا كـان مـسـتـوراً بسـتـرِ العـفـافِ في الأسـراتِ

إنما نـحن في زمـانٍ حـفـيـلٍ بالضـلالاتِ في الرجـال الهـداة

إنما بينهم عزيزةٌ كالجاني ... ولا عفو عندهم للجناة

وأراها ضعيفةً فأرانى ... رقَّ قلبى وفارقتنى أناتى

وهفتْ فىَّ كل جارحةٍ تدمى ... بوخز القوارص الجارحات

وهى ترنو بمثل ساطعةِ النجمِ ... وتمشى بخفةِ الظبيات

وقوامٍ لها كما وقفَ الغصنُ حزينًا فى ملعب النسمات

تُشبهُ البدرَ صفرةً وضياءً ... وتحاكى الأزهار بالبسمات

حرةُ اللفظ والجنانِ إذا افترَّت ... فعن طاهرٍ نقىٍّ اللثاة

جمعتْ بين حسن خَلقٍ وخُلق ... فهى ذاتُ النجارِ بنتُ السراة

وحرامٌ أن يُتركَ الحسنُ للشر ... ويقضى فريسةَ الشهوات

إنما يُنْشَلُ الغريقُ من اليم ... ويُدلى إليه حبلُ النجاة

إنما يرجع المريضُ إلى الصحة ... إن عالجوه بالشافيات

إنما يزجر الشقىُّ عن الموت ... وإن كان طامعًا فى الممات

إنما هذه الحياةُ متاعٌ ... فاصرفوها فى البر والحسنات

٢٧ و ٢٨ فبراير سنة ١٩١٥

* * *

رأيتـــك ...

(١)

رأيـتـكِ بـاســـــمـةً فــــأَرانـى | فى الليـلِ بـدرُ الســمــا مــبـســمَـهْ
وفـــاضَ جـــمــالك نــوراً هــدانـى | الســبـيل إلى الغــايـة المبـــهــمـه
فـــرفــرف فـــيــه الـنـعـيـمُ عـلـى | جـراحِ الأسـى ســاكـبًـا بلـســمــه
ومـــــا كـنـتُ إلا الأسـىَّ عــلـى | حـــيــاتـى وأيامِـــهــا المظـلـمــه
فـــغـــادرنـى الحبُّ أُذكـى الفـؤادَ | مـــســتــعـــذبًا نارىَ المضـرمـه
وصـرتُ الـذى يشــفـــقـون عليـه | ويســتــوجـبُ العطـفَ والمرحــمـه
ويـهـــزأُ بـــالـــدهــــر إمَّـــا أراه | وجـهُ حــبـيـبـتــه مــبــسـمــه

٢٤ مارس سنة ١٩١٥

(٢)

رأيتـــكِ بــاكــــــيــةً فـــرأيتُ | دمـــوعَ الصـــبـــاحِ وزهـر الربيـعْ
منـــــقـــــةً كـــالـلآلى تحـلـى | جـــبـــيـــنَ الورود بشكلٍ بـديـعْ
هى الشـهـبُ تغـرب فى المشـرقـيـن | وخـدَّاك مـــغـرب شــهـبِ الدمـوعْ

يرفرفُ جفنك إمَّا هوت ... فيخفقُ قلبى بنار الولوعْ

كأنَّ بصدرى شيئًا يهزُّ ... مشاعرَ روحى ويذكى الضلوعْ

وإن كنتِ أغضبتنِى وهجرتِ ... وخلَّفتِ قلبى حليفَ الهلوعْ

ولكن دموعُك لاشت قواى ... فها أنا ذا أتمنَّى الرجوعْ

إلى السقمِ واليأس والموت فيكِ ... فكُفّى البكاءَ وصونى الدموعْ

٢٦ مارس سنة ١٩١٥

* * *

البحـــــر

جلستُ وجفني جارياتٌ سواكبهْ إليه أشاكيه الأسى وأعاتبهْ

واسأله عن سائلاتِ مدامعي وما الدمعُ إلا خيرُه ومواهبه

نسيتُ وقد رقَّ الشعورُ وعُطِّلتْ ثغورُ المنى وانفضَّ ما أنا حاسبه

ومرَّت عوادى الدهر بى فكأنني على الدهر ذيلٌ والمنايا سواحبه

مواثيقَ أيامِ الشبابِ الذى مضى به الدهرُ وهَّابُ الشبابِ وسالبه

نفضتُ يدى إلاَّ من الشعر إنه عزائى إذا ما الدهرُ جلَّت نوائبه

أُحلى به الآمالَ ثم أعيدُها عرائس يجلوها الهوى وغرائبه

وكنتَ أخا ودِّى ودال زماننا وودك مخطوبٌ وإنى خاطبه

فإن عدتُ بعد الهجر فالعودُ أحمدٌ إليك وأحلى الوصل ما الهجر جالبه

ففيك لقلبِ المستهام استراحةٌ إذا عثرت آماله ورغائبه

إذا رُقْتَ كنتَ الروضَ وحْفًا نباتُه تراوحه ريحُ الصبا وتداعبه [1]

تقبله نهبًا فتسعده وما نواسمُ روض الإنس إلا حبائبه

---

(١) الوحف من النبات الكثيف الريان .

تلاحظكَ الدنيا لأنكَ ربها | وحولك ملكٌ مائجاتٌ مواكبه
فيأوى إليكَ البدرُ والشمسُ كلما | أرابهما الكون الطوال معايبه
ترى نفسَها فيكَ السماءُ فتنجلى | مباسمُها والنور غزلٌ ملاعبه
وأنت ترى فيها جمالك زاهرًا | فمن منكما ربُّ الجمال وصاحبه
ولكن إذا ما ثار قلبُك حاقدًا | عليها وهذا الماءُ جاشت غواربه
زخرتَ كأنَّ الضاريات زئيرُها | علا وصداه من بعيدٍ يجاوبه
وهجتَ وهاج الكونُ حولك ناقمًا | يغاصبك الدنيا وأنت تغاصبه
وابرق هذا الجوُّ يرسل سخطه | غيومًا كما اربدت بليلٍ غياهبه
أثار عليكَ الراعداتِ فأطبقت | وأَطْبقْتَ كلٌّ ثائرات كتائبه
نهضتَ بموج كلما كَرَّ كرةً | علا وترامى سيلُه وضرائبه
تشنُّ عليه غارةً إثر غارةٍ | فطورًا تراخيه وطورًا تجاذبه
ونازلته مستهزئًا بسيوله | تطاولُه مستبسلاً وتواثبه
فأتعبتَه حتى استردَّ جيوشه | وعاد وباديه من الذل غسائبه
وأرسلَ هذى الشمسَ تطلبُ هدنةً | إليكَ ورب الحسن تقضى مطالبه
فعدت إلى ما أنت وجهُكَ ضاحكٌ | ونورُكِ رقراقٌ وماؤك شاربه

* * *

يرفرفُ طيرُ الماءِ فوقك طالبًا | غذاءً فتعطيه الذى هو طالبه
وتجرى على سطحِ المياه بواخرٌ | مواخر مثل السهل تمشى أهاضبه

وتسبح تحت الماءِ فيكَ عوالمٌ كأن خميس الجن ثارت سلاهبه

هنالك كونٌ آخر مثل كوننا يعيشُ قريبُ العمر فيه وعازبه

بذا ما بذا أَبعادُه مطمئنة وغاباته ممتدة وسباسبه

وأنجاده نهَّاضة الهامِ تحتها غوائر فيها العشبُ خضرٌ شعائبه

كان به الغمرَ السحيقَ فضاؤه مشارقه مشهودة ومغاربه

وإنَّ بنيه حبهم مثل حبنا وليست بناتُ الماءِ إلاَّ كواعبه

ينازع أقواهم ضعيفَهُم كما ينازعُه ما بيننا ويغالبه

سوى أنهم لا نوم عندهم فلا يرون منامًا مزعجات غرائبه

سرت بينهم أحكامُ خالقِهم كما سرت بيننا واللّهُ عدلٌ مذاهبه

* * *

ويومٍ قصيرُ الحزنِ فيه طويلهُ ينازع قلبي يأسه ويحاربه

مشيتُ وأشجاني كَثيرٌ قليلها بقربكَ استجلي السنى وأراقبه

ومن فوق رأسي اللانهاية تنحني على مثلها والكونُ غُرٌ عجائبه

تمُدَّان أنوارَ الجمالِ ضحوكةً إلى أُفُقٍ قاصٍ ترامت جوانبه

تصافحتا فيه فهللَ وجهُهُ يسبّح من تَهمي عليه مواهبه

كأن بقايا عالمِ الأرضِ صافحت به عالمًا بالروح تعلو مراتبه

وأدركني الليلُ البهيمُ فأظلمت مياهك حتى أعجمَ الماءَ عاربه

فأبصرتُ في الجو النجومَ روانيًا وهن طويلاتُ الشعاع ثواقبه

مـولـيـةً شطرَ السـمـاءِ وجـوهها | تكـادُ تـدانى ربَّـهـا وتـقـاربـه
وألحـاظُهـا فـوق المياه وكـلهـا | رواجف قلب صـامـتـاتٌ رواهبـه
تملَّيتُ من هـذى المناظـرِ ليلتى | إلى أن دعـا ناعى الظلامِ وناعـبـه
فـعـدتُ وقـد لاح الفَناءُ لناظرى | واصدقُه فى العيـن ما هـو كـاذبـه
رأيتُ بعـين النفس عـمرى وحالَه | وإنى ضـيفٌ مـقلعاتٌ مـراكـبـه
وأنى فـى الكـون العظيم إضـافـةٌ | إليـه وإن مُـدَّت أمـامى مـآدبـه
وأنى بعـد الحَـيْن لا شك مـفـردٌ | عن الكونِ والنسيانُ تزجى ركـائبـه
وتسلمنى الأرضُ الخؤونُ إلى الفنا | لأفـقـدَ فـيـه كلَّ مـا أنا كـاسـبـه
وأحرمُ حتى نظـرةً وابتـسـامـةً | لوجه الفضاءِ الباسمات كـواكبـه
فناديتُ ربى ضـارعًا متـرحـمًا | وأصبح جفنى هاميـاتٍ سحائبـه

* * *

إليكَ هوى النفسِ الحـزينةِ راجعٌ | إذا غصب الآمالَ فى القلب غاصبـه
أناجيكَ مسلوب الحشاشةِ والنهى | وعـمرى يماليـه الأسى ويناصبـه
فلولا عيـونٌ حـبـهـا يبعثُ المنى | وأنوارُها توحى الذى أنا كـاتبـه
لهـا زرقـةُ الماءِ الذى فيـك سرُّه | وفيها من السحر العجيب غرائبـه
لأضـجـعتُ جنبىَّ الترابَ مطوحًا | بعـمرى إن العمـر كـثرٌ متـاعـبـه

٨ و ٩ إبريل سنة ١٩١٥

* * *

نساءُ الصَّليب الأحمر

أكــــرمْ بهِـنَّ أواتيًــــا وذواهبـا ... مـثل الشـمـوس طوالعًـا وغواربـا

خـضـن البـحـارَ وجُـبْـنَ أجـوازَ الفـلا ... وذرعنـهـنَّ مـشـارقًــا ومـغـاربـا

وخـفـفـن يُسعـفـنَ الجـريحَ أواسيًـا ... وركـضـنَ يخـدمـنَ المريضَ دوائبـا

هـنَّ الملائكُ مـرسـلاتٌ مـن عـلٍ ... للنـاس من لـدن الإلـه كـواعـبـا

الغـاليـاتُ جـواهـراً والسـاطعـا ... تُ أزاهـراً والسـافـرات كـواكـبـا

هـذى العـذارى الحـامـلاتُ أشـعـةً ... تجلو عن القلبِ الحزينِ غـيـاهبـا

جـئـنَ الصـليبَ كـمـا أتتـه نسـوةٌ ... يـومَ الصـليـبِ بواكـيًـا ونوادبا

وعليـه عـيـسى قـد أمـال جـبـينَـه ... وجـرى الـدمُ الفـادى عليـه خاضـبـا

ووقـفـنَ يبـصـرنَ المسـيحَ مكللاً ... بالشـوكِ مسـتـفـعًـا هـزيلاً شـاحـبـا

فـأذبْـنَ حـبـاتِ القـلوبِ تفـجـعًـا ... وسكبـنَ من درر الشـؤونِ سـحـائبـا

أمَا وقـد نبـذَ الشـعـوبُ شـريعـة ... سكبَ المسيحُ بهـا الشعـاعَ الثاقبـا

بالـبـر والحـسـنـاتِ تـأمـر أهـلَهـا ... والنُّـهْى عن عَمَلِ السـيوفِ قواضبـا

فـكـأنمـا هـم صـالـبـوه مـرةً ... أخرى ومصلى الحربِ يصبح صالبا

فلـذاك هـنَّ النـاهجـاتُ سـبـيلَـه ... أمَـمًـا حـمـدنَ فـواتـحًـا وعـواقـبـا

أخـــواتُـــه وذواتُ قـــربـــاه بمـــا — أوصى البَـريـةَ مـوحـيًـا ومـخـاطـبـا

الـوارثـاتُ حـنـانَ مـريـمَ رحـــمـــةً — بـالـعـالـمـــيـــن أبـاعـدًا وأقـاربَـا

من كل عـالـيـــة الجـنـابِ رفـيـــعـةٍ — تـنـدى يـداهـا أنـعـــمًـا ومـــواهـبـا

ووضـــيـــعـةٍ نـزل الـزمـانُ بـهـا فـلـم — يـتـرك لـهـا إلا الحـيـاةَ مـتـاعـبـا

وقَـفَـتْ عـلى حـبٍّ الـقـريـب حـيـاتـهـا — وسـرت عـلى السَّنَـنِ الـقـويـم مـذاهـبـا

فـــهي الـتـي ضـــمـن الإلـهُ جـزاءَهـا — والـلّـه عـدلٌ جـازيًـا ومـعـاقـبـا

بـوركـنَّ أعـــمـالاً فـــهـنَّ صـواحـبٌ — لمن اسـتـخـارتـه الـنـوائبُ صـاحـبـا

١١ يونيو سنة ١٩١٥

* * *

المسئول

لا أكذبُ اللَّهَ فقدتُ الرمقا ... ولاشت الأيامُ قلبى النزقا
وصرتُ إن ألقى المساءَ آتيًا ... أخافُ لا ألقى الصباحَ مشرقا
وإن رأيتُ النجم رقَّ نورُه ... فغازلَ الدنيا به والأُفُقا
رأيتُ فى نفسى المنى غواربًا ... كالماءِ لا يُسيغه من شرقا
يروعنى البحرُ إذا أمواجهُ ... اربدَّتْ وطاف ظِلُّها مسترقا
أراقبُ الموجَ بعيدًا أننى ... لا أركبُ البحرَ فأخشى الغرقا
من يسبرُ الغورَ ومن يعربه ... قد أعجم الهولُ العقولَ فَرَقا
يعترض الهلالُ فى الجو إذا ... ما اعترضَ الليلُ الوجودَ انطلقا
يطلع فى جنح الظلام خافقًا ... كأنه قلبُ محبٌّ خفقا
يُشوِّقُ النجمَ بعيدًا وهو فى ... مرقبه ملتهبٌ تشوُّقا
والزهرُ قد أغضى الجفون نعسًا ... والمندلُ الطيبُ منه عبقا
والغصن قد أذهله السحرُ وفى ... مسارحِ المياه تُسكبُ الرُّقى
والطير أخفى رأسَه تحت جنا ... حيه ونام لا يبالى أرقا
ولاحظ النسيمُ ما فى المحفل ... المعقود من أنسٍ فوافى شيِّقا

يحمل في أردانه قطر الندى ينشره منتظمًا متَّسقا

والنور من فوق ومن تحت وما بينهما مدٌّ الإلهُ الغسقا

* * *

يا قومُ ناموا في أمانٍ أنني أساهرُ الأكوانَ وحدي مشفقا

أسأل هل تحنو القلوبُ مرةً فالنور رمزٌ للحنانِ خلقا

وهل بها صفح وإغضاءٌ ففي زهر الرياض الصفحُ بادٍ طلقا

وهل بها ذكرى ففي الماءِ جرت ذكرى نفت عنه القذى والرنقا

وهل بها تآلفٌ فالطير في مبيتها تُقسمُ لن تفترقا

وهل بها عهدٌ جميلٌ فالندى على الأزاهير صفًّا مؤتلقا

وهل لها من العمى انتباهةٌ فالليلُ زال والصباحُ انبثقا

* * *

قولوا لسعدى والقلوبُ أصبحت فوضى هو اللَّه بنا قد رفقا

ما أجمل الإحسانَ بالناس وما أبهجَهُ إن كان عفواً مطلقا

إن الحفاظَ في الورى وثيقةٌ بينهم وحافظٌ من وثقا

من لي بأن أراك لي ذاكرةً أطردُ عن نفسي الأسي والقلقا

هل كنتُ يومًا في الهوى مقصراً أو كنتُ بين الناس شيئًا خَلقَا

في الحسن جاوزت المدى وفي الهوى قلبيَ جاراكِ فنال السبقا

أعملتُ رأيي في حياتي ناجحًا حتى رأيتُ الحبَّ سراً مغلقا

سرٌ تولاَّنى فأصبحتُ كما ... ترين نزأعًا لجوجًا قلقا

أُعالج الحبَّ ولا أعرف إلا ... أن لى قلبًا إلى الحب ارتقى

مشرَّدُ الإدراك موكولٌ إلى ... هواكِ أن يكون حرًا لبقا

فى كل يوم تعتريه هزةٌ ... يكاد إذ تنتابه أن يصعقا

كأنه النبتةُ فى تربتها ... تكاد فى الهجير أن تحترقا

منتفضٌ كالطير فى وكنته ... إذا الشتاءُ بالسيول أغرقا

منقبضُ الصدرِ حزينٌ صابرٌ ... من غصصى أكاد أن أختنقا

والناس راحوا فى الزمان شيعًا ... شتى وساروا فى الحياة فِرَقا

إلاَّ فؤادى فهو عنهم راغبٌ ... إليكِ عبدٌ كارهٌ أن يعتقا

سعى كما يسعى الكرامُ جهدَهم ... ماذا عليه إن يكن قد أخفقا

الحبُّ حسبى فليكن لى الوفا ... والوجدُ وجدى فليكن لى الشقا

والحظُّ حظى فليكن لى الهنا ... والعمر عمرى فليكن لكِ البقا

ماذا على الفراش إذ تيَّمه المصباحُ إن طاف به فاحترقا

أنا الذى أُسألُ عن نفسى وما ... غيرى إذ عشقتُ قالوا عشقا

واللّهِ لا أطلب إلا أن أرى ... منك الرضى رغم الورى بى لحقا

وأنْ يقولَ الناسُ عنا مرةً ... هذان قد تصاحبا فأنفقا

١٦ يونيو سنة ١٩١٥

* * *

المـــزاحُ فـى الحــب

تعب كلها الحياة : المعرى

لـجَّ الـهـوى وتـفـــاقـم الخطـبُ — فـــإلى م أشـقـى أيهـا الحـبُّ
وعـلـى م دائـى بـــرؤُه صـــعـبُ — الحــــب لا بـــرءٌ ولا طـــبُّ
يا هـنـد إنـى العـاشـقُ الـصـبُّ

الـيـــــوم لا عـــيـــنٌ ولا أثــر — عــنـدى ولا صـفــوٌ ولا كــدر
إن كـنـتُ والأحـداثُ تـبـــتـدر — حَـذِرًا فـــمـاذا ينـفـع الحـذر
إن اللـيـالى سـلـمـهـــا حــرب

والحـــب أولـــه وآخــــره — ســقـمٌ إذا لـم يـنـــهَ آمـــره
وإذا نـهـى فـــالقـلـبُ نـاصـره — وإذا ســهـا وقـفـت دوائـــره
وتـشـــاكل الإيـجـابُ والسـلـب

أمـــا الحـــيـــاةُ فكـلـهـــا تـعـب — حـالٌ نـبـدلـهـــا ونـــرتـقـب
ونـــزيـلـهـــا فـتـزيلنا الحـقَـب — إن الليـــالى شـأنُـهـا عـــجـب
فـــيـــنـا وســيـل الـدهـر يـنصــبُّ

وأحَقُّنا بالـلـوم ذو قلـق يشكو بقلب دائم الحرق ...
بين الظلام وحمرة الشفق بين النهار وظلمة الغسق
نوران ذا يبدو وذا يخبو
فعلى هذا الخوفُ والوجل والعمر معتركٌ ومقتتل
إن الشبيبةَ وهي تقتبل هرمٌ يؤخر وقعَه أجل
طرفاه مما يُمسك الرب

* * *

قالت أراك معاهدَ النفس إن لا تُجيبَ دواعي الأنس
فأجبتها لا توقظي بؤسي إن الرجاءَ مولد اليأس
وأنا كباقي الناس لي قلب
لكن أميلُ إلى الجمالِ به في الكون يُطلع وجهُ كوكبه
زُهراً وزَهراً في تقلبه يجلو بمشرقه ومغربه
صدري كما تجلو الدجى الشهب
قالت ولكنَّ الحياةَ إذا لم تجرِ فيه أضاع كل شذا
ويكون في عين الخليّ قذى ما غايةُ الإنسانِ وهو كذا
لا هم إلاّ الأكل والشرب ؟...
جاءَ الحديثُ بفرحةٍ وأسى ثوران صدرٍ يشبهُ الهوسا
فرأيتُني بين الورى تَعِسا مما ينازعني صباح مسا
أهفو وإن جُنَّ الدجى أصبو

بقيتْ تجاذبني وتدفعني والحبُّ اصرعه ويصرعني

تبدو شقاوتُه فتردعني وأرى سعادتَه تشجعني

حتى كبوتُ وكنتُ لا أكبو

ففقدتُ راحةَ عيشتي ومضى عزمي وزال وأحدث المرضا

سهران أطلب في السما غرضا متشرد الإدراك منقبضا

حتى رثى لشقائي الصحب

* * *

يا روضةً للحب دَبَّجها ربُّ السما ما كان أبهجها

نَشَر العبيرَ بها وتوَّجها بالنُّور منتسقًا وموَّجها

بالنُّور يشربه الندى الرطب

كنز العقيقَ بتربها فنما وافترَّ ثغرُ الورد مبتسما

وكسا الغصونَ زمردًا فسما تيهًا على أَعطافها وهمى

جفنُ الضحى فتكلَّلَ العشب

ودعى الطيورَ فآنست كرما منها وراحت تُبدع النغما

بسط المياه وأطلق النسما فيها وفوَّح تربها شبما

فزكا على علاَّته الترب

وهناك مما يعقد الشجر متفياءٌ يحلو به السمر
أحني عليه جبينَه الزَّهر وأقام يحرس غصنَه الخفر

وسرى به نفحُ الشذا العذب

* * *

قالت تعال هناك نأتنس إذ يهجع السُّمَّارُ والحرس
من نور هذا النجم نقتبس سعداً ومعنى العمر مُلْتَبس ...

وبمثل هذا يُدفَعُ الكرب

جاءَت وجئتُ وكلنا ثمل في مقلتيها يبسم الأمل
جلست إليَّ ولحظها غَزل وجلستُ ملءُ فؤادى الوجل

أبكي وملءُ فؤادها العجب

والدمعُ أفصح ما يفوه به قلبٌ تَوقَّفَ فى تهيُّبه
عن بثّ بعضٍ من تعتبه العتبُ يُكثر من تلهبه

لو كان ينفع فى الهوى العتب

مدَّت إليَّ يداً مكفكفة دمعي مسكنةً ملطفة
قالت مؤنبةً معنفة أَلمِثلِ هذا جئتُ مسعفة

يا ليته ما قادني الحب ...

الحب !.. أنت !.. نعم به نطقت يا ليتها فى قولها صدقت
قولي أعيدى لفظةً سُرِقَت من مقلتيكِ حروفها اخترقت

قلبى فصار يرفرف القلب

مـالي ومـالـكِ يا ابنـة الفـجـر غُـضـي عـيـونَكِ وارحـمـي صـدري

إن العــيــونَ نـوافـثُ الـسـحـر أصـبـحتُ كـالشـاوي على الجمـر

وغـدوتُ يجـهل مضجعي الجنـب

يا بـنـتَ آمـالـي وأحـلامي ومـقـرُّ أفـراحـي وآلامـي

ضـاعـت بغـيـر الحـب أيـامـي فـالقـلبُ مكلـوم الحـشـا دامـي

والعيـن قَـرَّح جفـنَـهـا السـكب

هذي مُنى نفـسـي عليكِ جـرت من مقلتي وحشاشتي استعرت

يا أُختَ روحي اخـتُـكِ انفطـرت جـزعًـا فـهـلاًّ أُخـتُـهـا نظـرت

في خطبـهـا فـتـيـسَّـر الخطـب

مـدت إليَّ يـمـيـن مـسـتـلِم وبوجنتـيـهـا لاعجُ الـضـرم

فـدنـوتُ مـحـتـرقَ الفـؤاد ظـمـي ولثـمـتُـهـا لـهـفًـا فـمًـا لفـم

فـشـعـرتُ أني ضـاق بي الـرحـب

وشـعـرتُ أني قـد رُفـعـتُ إلى أُفـقٍ نـواسـمـه سـرت أمـلا

طـارت مـعـالـم أنسـه جـزلا وبـروضـه عـرشُ الـغـرام عـلا

ولـديـه مـن زُهـرِ المنى سـرب

وَقَـفَ الـهـلالُ يـرى ويـضـطـرب حـسـداً وقلـبُ الشـهب يلتـهـب

والـمـاءُ كلُّ أنينـه طـرب والـزَّهـرُ ملءُ عـيـونـه عـجـب

والليـل منـه رقَّـتِ الحـجـب

حتى إذا عادت إلى الرُّشدُ قالت كفاكَ الآن فاتَّئد

ولعلني آتيك بعد غد ... فأجبتها ما حيلة الولد

إمَّا هم فطموا ولا ذنب

ذهبت وستر الليل ما رُفِعا والنجمُ أشفق وجهه جزعا

وبقيتُ وحدى طائِراً فزعا أهذى كرب أريكةٍ خُلِعا

عنها وضيِّع عزه الرب

يا ليلُ كيف ظلامك انصرما يا صبحُ كيف طلعتَ مبتسما

يا شمسُ كيف جهلتِ ما علما ذاك النسيمُ وروضهُ وهما

خَفَتَا وطار العقلُ واللب

وبقيتُ أرقُبُ عودَها وأنا قلقٌ وطال فضاعف الشجنا

يا هند صرتُ أسائل الزمنا هل كان يومًا أن يعود لنا

فيعيد فيكِ حياتى القرب

اللَّهَ مما يحدث القدرُ العاشقون صفاؤهم كدر

إن تبتسم فى أفقها الدرر فشماتةٌ والشمسُ والقمر

لها استقلَّ الشرق والغرب

وعلمتُ هنداً سافرت ومضت عنى وراحت بعد أن قبضت

روحى فهلاَّ فكرةٌ عرضت منها ولكن لا فقد نقضت

ودى لأن غرامها لعب

* * *

واليوم دار العامُ دورته والحب ما أخمدت ثورته

متذكراً ليلي ونعمتَه في هند وهي تطيل لذته

فكأنه وكأنها كذب

هذي التي تركت لي الندما حتى نضبتُ حشاشةً ودما

إن قمتُ أدفع عني السقما ألفيتُ ملءَ جوانحي ضرما

يذكو وحَدٌّ عزيمتي ينبو

عمرٌ يمرُّ وكله نَكَد يا دهر ماذا أنت والأَبد

وأقول اسلوها غداً وغد يمضي وبعد غدٍ ولا أجد

إلا الشقاءَ وأنني صب

* * *

الكون مصلّى

تبدَّد الليلُ مضمحلا إذ أقفلَتْ أنجمُ العلاءْ
وأقبل الفجر مستهلا يضاحكُ الأرضَ والسماءْ

* * *

أطلَّ في الشرقِ زاهرا تصبغه حمرةُ الشفقْ
يخترق الغيمِ باهرا بنوره عندما ائتلقْ
ويرسل النورَ زائرا يُنَبِّهُ الطيرَ في الورقْ
كأنما الكونُ إذ تجلى وامتزج الليلُ بالضياء
بقيَّةُ البؤس حين ولّى في مطلع السعدِ والهناء

وأقبلت ربةُ النهار في موكبِ النور رافعه
ألويةَ النصر والفخار ورديَّة اللونَ ساطعه
كأنها والنسيمُ ساري في الروضِ يغدو الشذا معه
تاجُ عقيقٍ به تحلّى وزاد حسنًا هذا الفضاء
أو مَلْكُ عزٍّ وافى محلاًّ يغمره الشرقُ بالبهاءْ

* * *

فقمتُ أمشي إلى الحقول | أشاهدُ الشمسَ مشرقه
والنورُ من وجهها الجميل | يسكب في قلبي المِقَه (1)
في مسرحٍ بالضحى حفيل | حيث الرياض المنمقه
إن شئت وردًا أو شئت فُلا | وكلها نابتُ الخلاء
تقلَّدت رونقًا وطلاًّ | وابتسمت بسمة الحياء

* * *

واستعرض العشبُ فرشه | خضراءَ مثل الزمرد
إذ نشر الطيرُ ريشه | ملتمعًا فوقها ندى
وبارح الفرخُ عشه | في ملعب الجِدِّ والدد (2)
على الربى طائرًا تعلَّى | مستشرفًا هابط الجِواء (3)
يسبح اللَّه مستقلاً | لواحفيه ملكُ الهواء (4)

* * *

جئتُ إلى النهر قاصدا | جمامَ نفسي على حصاه (5)
مسرَّحَ الفكرِ ناشدا | من العلا راحة الحياه

---

(1) المحبة . (2) اللهو واللعب .

(3) الجواء بكسر الجيم : جمع جو وهو ما اتسع من الأودية .

(4) الواحف الجناح الكثير الريش .

(5) جمام النفس راحتها .

أنظر حولي إلى مدى	والشجرُ الخافرُ المياه
يرسم فوق المياه ظلاً	مضطربًا عابس الرواه
قلتُ لنفسي يا نفس مهلا	لا ينفع الهمُّ والعناء

* * *

فكل هذى الحصى نجومُ	على الرمال استقرّتِ
والمرجُ وجه السما الوسيمُ	والنهرُ نهرُ المجرّةِ
والنبت زاهٍ به عميم	يبعث روحَ المسرّةِ
والزهرُ فيه يشبه طفلا	ضجيع مهدٍ رحبٍ رخاء
إذا يهب النسيم سهلا	يلعب فيه كما يشاء

* * *

الماءُ والنورُ والعبير	والرملُ والنبتُ والحصى
والنسمات التى تسير	والظلُّ إمَّا تقلصا
رمزٌ لكونٍ به السرور	على المدى قد تخصصا
وجاءَ هذا عنه مُقِلاً	بكل ما فيه من عَداء
يقتصُّ فيه الإلهُ عدلا	ممن بغى فيه أو أساء

* * *

الكل فى الكون لازم	حتى جماد بغير حس
والحيوان المسالم	يسرح فى مأمن وأنس

لـه الفـضـا والنـواسـم وظـلٌ دوحٍ ونـورٌ شـمـس
واتَّـخـذ اللّـه فـيـه كِـفْـلا لمـا يـوافـيـه مـن غـذاء
يُـنْـتـج ولـداً لـه وأهـلا ويُكثِـر الخـصـبَ والنمـاء

* * *

كـذاك كـل الـعـنـاصـر تـنـضـمٌ حـتـى تُـوَحَّـدا
أواصـرٌ فـي أواصـر [1] أوائـل لـن تـعـددا
مـوصـولـةٌ بـالأواخـر وهـي بـنـاءٌ تـفـردا
لـمن بنـاه فـهـو مُـصـلَّى يُـعـبَـدُ فـيـه سـرُّ الـبـقـاء
والـلّـه فـيـه عـز وجـلاً يـدبِّـرُ الـكـلَّ بـالـسـواء

* * *

(١) أواصر : جمع أصرة وهي رابطة القرابة .

البحرُ مرآة الحياة

أرى البحرَ مرآة هذى الحياة   فهو يُحاكى مداها اتساعا

وأبعادُه مثل أبعادِها   يضيق على الفهم أن تُستطاعا

ويصفو وتصفو فمحض سرورٍ   يروق الورى منظراً وسماعا

وإن كَدُرا فشقاءُ العناصر   مثلُ شقاءِ النفوس نزاعا

وتغتال سَفْرَ الوجود خداعًا   ويغتال سفرَ السفين خداعا

فلا هى هابت عليها حصونًا   ولا هو هاب عليه شراعا

وقد وضع اللّهُ حدًّا له   وَحَدًّا لأعمارنا وانقطاعا

وسلَّط هوجَ الرياحَ عليه   وهوجَ الخطوبِ علينا تباعا

فنحن كأسماكه في الوجود   يغولُ الكبيرُ الصغيرَ ابتلاعا

وأعمارنا كقراراته   انخفاضًا إذ اختلفت وارتفاعا

وأيامُنا مثل أمواجه   تجيءُ سِراعا وتمضى سِراعا

١٨ أغسطس سنة ١٩١٥

* * *

القطيعةُ

وماتَ حديث المنى فى ضميرى
« ابن سهل »

نعم مات فى صدرى حديثُ رجائه
وأسلمنى قلبى إلى بُرَحائه

فإن كنت أزْمعتِ القطيعَةَ فافعلى
وإن تُزمعى فعلٌ برغمِ خفائه

لقد كنتِ فى صحراءِ عمرى روضةً
فأذبل فيها الزهرَ حَرٌّ ظمائه

وما حبُّنا إلا كنابتةٍ ذوت
ولم يُورِها جفنُ الضحى بضيائه

لعلكِ فى القطعِ القريب مزيلةً
عن القلب عبثًا كان أَصل شقائه

فكم مرضعٍ قد مات لم يُدْرَ داؤُه
ولو عاش كان العمرُ أكبر دائه

أديرى بهذا الكون طرفكِ سائلاً
ورُدّيه يرجِعْ دافقًا ببكائه

فأهونُ ما فى الكونِ قطعُ محبةٍ
إذا وُجدت فيه كسارى هوائه

وأعظم ذنبى أن قلبى فى الهوى
مشاعره مقرونةٌ بوفائه

وإنى غريبٌ بين أهلى ومعشرى
أُجَرر بين الناس أَقدامَ تائه

لقد مات فى قلبى الرجاءُ فإن أعش
فطولُ احتضارٍ كيف لى بشفائه

وقلبكَ مغمورٌ بماءِ حياته ووجهكَ مغمورٌ بماءِ حيائه

فدونكِ بين الناس ما شئتِ من هوًى لقد مات في صدري حديثُ رجائه

٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٥

* * *

الهَــاربُ

لو كــان لى صــحــةٌ أعــيــش بهــا ... لم أشــكُ يومًــا كــوارث الكرب

بل كنت أغدو حيث الجدود غدت ... مــوفــورةً فى الحــيــاة للنُّهــب

مـعــتــزلاً فى الجبــال مـعــتـصــمًــا ... بغــارها مــشــرفًــا على الكُثُب

مــرتــمــيًــا فى مــفــاوزٍ جــهلت ... غــيــر الرزايا والويــل والحَــرب

أهــرب ممن تـقـلـى ودادى ومــا ... لـداءِ قـلـبى أشــفـى مــن الـهــرب

أطــالـع الـفـــجــرِ أين لاح ولا ... عــينٌ ترى غـيـر أعـيـنِ الشــهب

وألبسُ الليــلِ أينمــا اندفـــقـت ... ســيــولُـه كــالغــيــوم والسـحب

وأركـب البــحــر منشـدًا ولهـى ... هــزَّتُــه مــثــل هــزة الـطــرب

أهــزأُ بالـنــاس أنــهــم خُـلـقــوا ... شُـعْـثَ النـواصى للأكـل والشــرب

أحــمــل قــلـبى عــلى يـدى فــإذا ... جَـدَّ بى الضَّــعـفُ مــتُّ مـن تعـبى

مــاذا عــلـى المرءِ أن يمــوتَ إذا ... عــاشَ بــلا غــايــةٍ ولا أرب

يا أرضُ أيـن القــبــورَ فــاغــرةً ... فـــاهــا وأين الـفـنــاءُ فـى الـتـرب

وأيـن دودُ الـبــلَـى يُـنــازعــنـى ... جسـمى ويُنهى فى الكونِ مُغْتَربى

يا دهرُ قد طال تيهُ نفسي في   هذا الزحام المضيِّق اللجب

وطال تيه الشعور منزعه   إلى التى حبها أخو الكذب

إلا شعاعٌ هادٍ عواطفنا   هدايةَ العينِ فى الدجى العُصُبِ

اللّه يا عمرُ أنت أعظم ما   ألقى ويا موتُ نِمْتَ عن طلبى

١٥ أكتوبر سنة ١٩١٥

* * *

الأختان

نزلت لتشهد روضةً نبتت ... أثلاثُها وترعرع النبتُ

فإذا السماءُ وكل أنجمها ... وإذا الحياة وصفُوها البحت

فتانة البَهجات زخرفُها ... كالسحر عنه يقصر النعت

زهر الرياض طوائفٌ نُشرَت ... راياتُها وصفًا لها الوقت

لا بل عيالٌ كل واضحةٍ ... أمٌّ وكلٌّ وضيعةٍ بنت [1]

والماءُ تسقيها مناهلُه ... خيراتِ عمرٍ عافها المقت

وملاعبُ النسمات تنقل ما ... تروى ولا زور ولا بهت

وكذاك وجهُ العمر مبتسم ... لذوي العيال وللسوى شُخت [2]

لكن هنالك زهرةٌ وقفت ... حيرى وجافاها الأولى شتوا

ملمومةُ الورقاتِ ذابلة ... مثل المليحة ما لها بخت

صمتت حواليها الطيور وفى ... بعض المواقف يحسن الصمت

---

(١) عيال المرء أهل بيته الذين يعولهم ، والواضحة هي البيضاء المنيرة ، كنوا بها عن المرأة التي تطول مدة جمالها .

(٢) ضامر ولا هزال .

ومـضت على الأيـام مـرتفـعًـا رغم الجـفـاءِ جـبـينهـا الصلت (1)

فـحنت لهـا سـلمى وقـد ذرفت دمـعًـا كـعـقـدِ الـدر يَـنْـبَـتُّ (2)

وتـقـدَّمت حـتـى إذا قـربت منهـا وحـجَّـبَ غـيـرها الـسـمت (3)

صـارت تـقـبـلـهـا مـلاطفـةً وكـذا تـقـبـل أُخـتَـهـا الأُخـت

٣ نوفمبر سنة ١٩١٥

* * *

(1) العالى البراق .

(2) ينقطع .

(3) سمت كل شيء ما واجهك منه .

المستجير

أجيري الذى بهواكِ استجارا ... محبٌّ عليه غرامكِ جارا
رأى زرقةً بين عينيك قد ... وسعتِ السماءَ بها والبحارا
فأعطاكِ قلبًا ونفسًا وعقلاً ... وفكراً وهذا الشباب خيارا
إذا انعكَس النورُ من مقلتيكِ ... أَضرم بين الجوانح نارا
وإن رفرف السحرُ فى شفتيك ... ابتساماً فرفرف قلبى وطارا
أرى أن روحى قد عُلِّقت ... بمثل نثير الهباءِ مثارا
وإنَّ الزمانَ توقف عن سيره وتُرى قبلها الدهرُ سارا
وأنَّ الحياة تجلت وأن النعيمَ ... بدا والشقاءَ توارى
وأنْ لا صباحَ وأن لا مساءَ ... وأن لا ظلامَ وأن لا نهارا
تبارى بنفسى معانى الوجود ... سوى الحب فهو الذى لا يُبارى
وما الحب فى العمر إلا محيطٌ ... على قطبه دارا

* * *

ملكتُ بقلبى حسنك وهو ... كنوزٌ فما عدت أخشى افتقارا
وعمرى في البعد عنك عثارٌ ... وعندكِ لستُ أخافُ العثارا

فمن ناظريك المنى تستهلُّ إلى النفس كالنجم حين أنارا

وكم عبثت بالنهى مقلتاكِ فهام الفؤادُ وضلَّ وحارا

وقبل الهوى كان عقلى صحيحًا فلا تسألى بعده كيف صارا

خذى من فؤادى عواطف صدرى فقد ضج صدرى بهن وثارا

طمت مثل ماءٍ طمى فى الحياض ولكنه لا يُصيبُ انحدارا

عشقتك حتى فقدتُ القُوى بحرب الورى لا أروم انتصارا

أدافع ألسنةَ الناسِ عنكِ وعنى وهى تحاكى الشفارا

فتجرح هذى الجسومَ جِراراً وتجرح تلك النفوس حرارا

فديتكِ هذا الورى ليس يفهم إلاَّ لجاجَ الضلوع أوارا

وإضرام جسمٍ وإطفاءَه بما فيه سرُّ البقاءِ توارى

وهل فى الورى غيرُ إطماعهم يدارونها وهى ليست تُدارى

وحبٍّ بطانتُه الكبرياءُ تبطَّنَ منهم نفوسًا صغارا

وشرطُ المحبة فى الكون أن تُعيدَ صغارَ النفوس كبارا

* * *

إلا أننى بينهم عنهم بعيدٌ كأنى سكنتُ القفارا

أُشاغل قلبى فأسقى به غراسَ هواكِ وأرجو الثمارا

وما هى إلا رضاكِ وأن تُجيرى الذى يهواك استجارا

مارس سنة ١٩١٦

* * *

الغُرباء

إلهي تداركنا بلطفك واشفنا — من البؤس وارحم إننا بؤساءُ

تُرى قبل هذا الكونِ كنّا بآخرٍ — وكنتَ لنا ربًّا وكان بقاءُ

وهل فيه أغضبناكَ حتى نفيتَنا — إلى الأرض نشقى فوقها ونُساءُ

وتنبُذنا عن ظهرِها في قرارةٍ — تحالَفَ موتٌ تحتها وفناءُ

ألم يكفنا فوق الترابِ شقاؤنا — فيلحقنا تحت التراب شقاءُ

أكفارةً عما اجترمناه قبلها — على الجهل فاغفر إننا جهلاءُ

وروحٍ لنا أودعتَها الجسم لم يكن — لها مواطنٌ ولا هناك سماءُ

يعذبها الجسمُ الذى أصلُه الثرى — بها في النوى داءٌ وذلك داءُ

طريدةُ ليل قد حوتها غيَابةٌ — من الجسم تصليها به البرحاءُ (١)

وكيف لها سلوى بفقد ضيائها — وما البدرُ إلاَّ أن يكونَ ضياءُ

وما الزهرُ إن تفقدْ شذاها وما المنى — إذا عمَّت البلوى ومـاتَ رجاءُ

وزاد عذابَ النفسِ أنك واجدٌ — عليها بجرمٍ جَرَّه السفهاءُ

---

(١) الغيابة من كل شيء ما سترك منه ، والبرحاء : شدة الأذى .

أتـوه قـديمـًا لا الذى جـاءَ عـارفًـا ... بما جـاءَ أو من فى زمـانـكَ جـاءُوا

تمخَّض فـينا الدهـرُ وهـو ضـعـيـفـة ... قـواه وإنَّا وُلْـدُه الضـعـفـاءُ

تمادت بـنا الأوجـاعُ فى دار غـربـةٍ ... فَـرُحْـمَـاك ربِّى إننـا غـربـاءُ

١٠ مارس سنة ١٩١٦

* * *

السَّابلة

إلى م هذى المقلةُ السائله ... تجولُ فيها الدمعةُ السائله

مطروفةٌ فى الليل ترعى السهى ... وهى بها مشغولة شاغله

تُتْعِبُ نفسًا هى مرآتُها ... واجمةً فى بؤسها ذاهله

تمردت فى الجسم لكنه ... شدَّ عليها فثوت ماثله (١)

كانت تصبًّاها جمالٌ بدت ... أنوارُه واضحةً حافله

تقلدت منه المنى حليةً ... صارت بها حاليةً عاطله

لكنه عاد حليفَ الأسى ... وانحرفت أوضاعهُ مائله

وعاث فيه كلُّ ذى منيةٍ ... نافرةٍ أو غايةٍ سافله

فارتجعت منه أماناتها ... واستدرجت عنه المنى قافله

وهى عليه اليومَ قد أسلبت ... عبرتها تستوقفُ السابله

٢١ مارس سنة ١٩١٦

* * *

---

(١) الضمير فى تمردت للنفس وماثلة من قولهم مثل أى قام منتصبًا والماثل من الرسوم ما ذهب أثره .

الرَّاحــة

إذن أين رجائى ؟ رجائى من يراه ؟

إنه يهبط إلى أبواب الجحيم . لا جرم أن فى التراب لراحة ...

أيوب ١٧ : ١٥ و ١٦

أفى كل يومٍ أنت ناشدُ غـاية ... يُظَنُّ بها مما تراوغك السحرُ

حريصٌ عليها أن يُلمَّ بها البلى ... إذا كدَّرتها عندك المحنُ الغبر

وما الحرصُ إن لم تستقلَّ لك المنى ... بأسرارها أو يستتبَّ لك الأمر

تمتَّعتَ من دنياكَ حتى تنكرت ... عليك وجوهُ العمر والقلب العمر

وحتى دعاك اليأسُ منها إلى الهدى ... وليس الهدى إلا الحفيظةُ والذكر[1]

فهل فزتَ من غاياتها بسوى الأسى ... وكان الأسى ذخراً لو أن الأسى ذخر

حبتكَ المنى أسرارَها وتواطأت ... لخدمتك الأيامُ وانقطع الغدر

وعُدن كما ابدأْنَ لا فيكَ مطمعٌ ... بهنَّ ولا فيهنَّ عرفٌ ولا نكر

فأنتَ وهُنَّ الأمسُ واليومُ بالمدى ... قريبان لكن دون لقياهما الدهر

---

(١) الحفيظة : الحميَّة والغضب .

لقد أتعبَتكَ الحادثاتُ وأَجهزت عليكَ ولا خَير بهنَ ولا شر

سوى ضيق صدر أثقلتكَ هُمومُه وأن اللّيالى لا يُحيط بها الصدر

وأنت على الأيَّام تنشدُ راحةً فيا جاهل الأيام راحتكَ القَبر

١٢ إبريل سنة ١٩١٦

* * *

نظـــرة وخـطـــرة
عـلـى شـاطـئ الـبـحـر

يـا حُـبُّ قـــد أفنـيــتـنـى فِــكــرًا ... وتـركــــتـنـى بـيــن الورى خَـبَــرًا

وســلـبـتَ قــلـبـى كـلَّ راحــــتــه ... ووهـبـت قـلـبـى الـهـمَّ والـضـــجـــرا

أشـقــيـتَ عــمـراً كـنـتُ راضــيَــهُ ... مـــا كـــان لا صــفـــواً ولا كـــدرا

حــسـبـى شــفـيـعًــا أننى رجـلٌ ... أكـــــفـى الأنــام الـنـفـعَ والـضــررا

فى كـل يــوم ســيــرةٌ عـــجــبٌ ... عـندى تفـوق بـفـضـلـك الـسـيـــرا

بـالأمـس إذ خـطـرت مـهـفـهـفـة ... هـنـــدٌ أبـــاحــت روحـى الخـطـــرا

فى مـحـفـل للأنس قـد جـمـعـت ... مـنـــه الـشــــــواطـئُ زمــــرا

والأفـــق ضـــاحــكـة مـــلاحـظــه ... والبـــحـــر هـادٍ والـنـسـيـم سـرى

نَـفَـرَ الجـــمــيـعُ إلـيـه رائـدهـم ... طـيـبُ الـهــوا وصــحـبتُ من نـفـرا

فــمــشـــوا فـرادى فى مـــسـارحـه ... ومـــشـــوا ثـنى ومـــشـوا بـه نـفـرا

شــيــبٌ وشــبـــان يـخـــالـطــهـم ... ســربُ المـــلاج يجـــرر الحــبـــرا

يـتـــســايـرون بـــه عـلـى مـــهـلٍ ... وبـه اســتـطـابـوا الأنس والـســمـــرا

فـكـان هـنـدَ الـشـــمـسُ إذ طـلـعـت ... تمحـــو الـنجـــوم وتـفـضـح الـقـــمـــرا

يا نظرةً للقلب إذ عرضت ... ماذا فعلت بقلب من نظرا
يا فتنةً للنفس ساحرةً ... يوحى إلىَّ بيانها سورا
يا سرَّ هذا العمر أحسبه ... لما رأيتكِ منهلاً خصِرا
هلا وقفتِ تراك مقلةُ من ... ألف الضنى والحزن والسهرا
هلا تبطنت الخفىَّ لدى ... تلك المشاهد وهو قد ظهرا
الحب ذاكَ ملكتُه وأنا ... ما دار حولك سِرٌّ أو جهرا
صدرى وهذا البحر غورهما ... أبداً يضلل كل من سبرا
ودى وهذا الصخر قد رسخا ... أنا شاعر والصخر ما شعرا
ويضم قلبى كلَّ مزبدةٍ ... جاشت بموج عواطفٍ زخرا
كانت سماءُ النفس صافيةً ... فى أفقها نجم المنى سفرا
لكنها بهواكِ قد أفلت ... وثويتُ فى ليل قد اعتكرا
إنى نبذتُ العيشَ ليس له ... معنى ولست سوى سناك أرى
خفيت مجالى الكون عن بصرى ... فكأنه بجمالك استترا
لم أعتب الأيام إن غدرت ... إذ كان من أهواه قد غدرا
لم تبتكر لى فى الحياة سوى ... حبٍّ أرانى اليأس مبتكرا
فصحبتُ أقوامى مجاملةً ... سيان من قد غاب أو حضرا
ونسيتُ أن سوَّاك بارؤه ... ربى وإن سوى هواك برا
وذكرتُ أن سواى ليس له ... همٌّ سوى غرضٍ به اشتهرا

وفهمتُ أن العيش مضحكةٌ ... نخفي بها الأدرانَ والوضرا

وحفظتُ إلا كيف ينفعني ... علمي وإلا العقلَ والفكرا

وعلمتُ أن الحب جاءَ به ... قَدَرٌ وكيف أعاند القدرا

فكنزتُ حبَّكِ في الفؤاد فلم ... أطلع عليه السمع والبصرا

وذهبتُ في الدنيا على قدمٍ ... يسعى بها جدى الذى عثرا

لو تعلمين خوافقًا علقت ... قلبى فضجَّ ولجَّ مبتدرا

ومنازعًا للنفس ضاربةً ... أوتارها ما أغفلت وترا

وأوابدًا للعقل شاردةً ... ترد الجنون وتأنف الصدرا

لرثيتِ للعانى المريض هوًى ... وجبرتِ قلبًا بالأسى انكسرا

اللَّه يعلم أننى رجل ... لم يقض يومًا في الهوى وطرا

٣١ يوليو سنة ١٩١٦

* * *

الرَّسم

أتاني رسمُكِ يهدى إلىَّ ... جمالَ محياكِ في العين رسما

فأنزلتُه منزلاً في الفؤاد ... وبَرَّدتُ شوقي ضمًّا ولثما

ورحُك عندى في القلب قد ... أقمتُ لها مسكنًا فيه اسمي

فمذ جاءَ رسمكِ تم سروري ... وقد صرتِ عندى روحًا وجسمًا

٢٢ أغسطس سنة ١٩١٦

* * *

جـــوابٌ

(١)

تـطـالبـنـى سـلـمى بأنى أُحِـبـهـــا ... مـتى كـان فى الحب الفـؤادُ مـخيّـرا

فـديتُـكِ يا سـلمى جـمـالـك سـاحـرٌ ... ولكن قـلبى لن يعـودَ فـيـســحـرا

صبوتُ كثيراً واسـترحت من الصبا ... فـمـا فـزت إلا من شـقـائى بأكـثـرا

أبى لى ذلى فى المحـبـة رجـعـةً ... إليهـا وعيشى مسـتضامًا مـسخرا

ومـن أنـا أهـــواه يـزيـــد سـرورَه ... بـأنى عـنــه لا أطـيــق تـصـبــــرا

ويعـجـبـه فـيـه هيـامى ولوعـتـى ... وتضـيـيعُ آمـالى وبؤسـى ومـا جـرى

وأن لا أرى إلاّه فـى كـل مـــــا أرى ... بعـيـدَ المنى كـيـمـا أنـوحَ وأسـهـرا

فــأورثـنى داءً بقــلبى كـــامنًا ... عـضـالاً رأيتُ الطبُّ فـيـه مُـحـيًّـرا

كـذلك كـان الحـبُّ عـندى فـإن أكن ... جـديراً بدائى كنتُ بـالبـرءِ أجـدرا

هـرمتُ وشـعـرى فـاحـمٌ وشـبـيبتى ... كـمـا فـاح فى الروض العبـيـرُ معطـرا

وشـاخت قُـوى نفسى ونفسى فتيـة ... وقلبى طـفـلٌ فى الوجـيـعـة عـمَّـرا

وأسـلـمـنى هـذا الزمــان إلى التى ... تريـنى ضـيـاءَ الصـبـح ليـلاً مكدرا

تباعدتُ حتى ليس فى الأرض مَبْعدٌ ... لذلك لم أسـمـع عن الحب مُـخْـبِـرا

وعالجتُ هذا العمرَ حتى تركتُها وإياه لكن آسفًا متحسرا
بكيتهما حتى كأنَّ مدامعي مسيلُ غدير ماؤه قد تحدرا
وكفكفتُ دمعي بعد ذلك صامتًا ذهولاً وفي قلبي الضرام تسعرا
لقد صار قلبي مثلما يعلم الأسى تغيَّر حتى صار لن يتغيرا

٦ سبتمبر سنة ١٩١٦

(٢)

أينفعني الحبُّ الجديدُ وصاحبي فؤادٌ كما شاء الزمانُ قديم
وكيف لقلبي بالصبابة والهوى وقلبي طفلٌ في الغرام فطيم
ولم يبق من نفسي سوى نَفَس له زفيرٌ ونزعٌ في الضلوع اليم
وبي غُصَّةٌ إن عاود الذكرُ عاودت وعاود داءٌ في الفؤاد كظيم
وعاودني شوقي العهيدُ ونازعت قواي خطوبٌ جمةٌ وهموم
أرى الجَبلَ العالي فأشتاق أنني على رأسه ثاو هناك مقيم
هنالك ما شاءَ الفؤاد سكينةٌ وأنسٌ ونورٌ طاهر ونسيم
هناك جماعات الطيور أوانس إليَّ ووجه النيراتِ وسيم
هنالكم قلبي صغيرٌ بنفسه ولكن بما يوحي الإلهُ عظيم
وأن جوار اللّه أعظم راحةٍ يراها فؤادٌ في الشقاءِ سقيم
وأكبر شرٌّ أن تُحولَ مقلةٌ عن النور فالليل القريب بهيم
وأفظعُ خطبٍ أن تموتَ عواطف وتُقفرَ منها أنفسٌ وجسوم

أيا دهرُ هذا العمر أقلق راحتي | ومات رجائي أنني لعديم
وضيعتُ ما في النفس من مرحِ الصبا | وأصبحتُ في قفر الحياة أهيم
تذكرتُ أيامًا عوازب أنها | لقلبي في ليل الخطوبِ نجوم [1]
بها أهتدي أن هوَّم العمرُ وارتمت | بيَ الغادياتُ السودُ فهي غيوم
ووسَّدْنَني مهدَ الأسى متململاً | كأنني ممن قد لدغن سليم [2]
خذوا نزعات العزم مني وأطفئوا | سعيرًا بقلبي أنه لجحيم
وحُلوا عرى أضلاع صدري وأوقفوا | به خفقانَ القلبِ فهو اليم
وشدُّوا على نفسي بأثقال دائها | ففي النفس منه مقعد ومقيم
عسى خطرة في العمر أغفلها الأسى | وسانحةٌ دون الفَناء تحوم
تبادلني ما استسلفِ القلبُ رحمةً | به وهو رغم النائبات رحيم
وفي كل يوم لي مني مستجدَّةٌ | وشوقٌ إلى ذاك العذاب قديم

٢٢ أكتوبر سنة ١٩١٦

* * *

---

(١) عوازب : أي بعيدة غائبة .

(٢) السليم الذي لدغته الحية كأنهم يتفاءلون له بالسلامة .

اللاعبة

أنامِلُكِ اللطافُ وقد أُمِرَّت ... على المضراب أنطقتِ الجماد [1]

فأسمعنا التدلُّهَ والتصابى ... وغَنَّانا المحبةَ والودادا

وأطربنا بكل رخيم سجع ... إذا نحن استزدنا منه زادا

فهيَّج فى الفؤاد كمينَ وجدى ... وزاد أضالعى منه اتقادا

كأنَّ يداك عابثة بصدرى ... تثير به العواطف والفؤادا

كأن يداك لامسةٌ عيونى ... فتعقُدُ فى مغامضها السهادا

كأن يداك لاعبةٌ بروحى ... تمرسها وقد لانت قيادا

فتُنشدُك الحياةَ وقد أضاعت ... بها الأملَ الذى أعيى المرادا

وتبكيكِ المنى ثكلى أرَنَّت ... عليها عندما لاقت نفادا

وترثى العقلَ وهو أغرُّ زاهٍ ... أُصيب فما استفاد ولا أفادا

وتندب كلَّ باسمةٍ تولت ... وقد لبست على النور السوادا

ولولا العجزُ كنت شققتُ قلبى ... غداةَ بيأسه فيها تمادى

---

(١) لقد اتفق الأدباء على إطلاق لفظة مضراب على البيانو .

فأبصرتُ الحقيقةَ غيرَ أني ... يذرُّ الدهرُ في عيني الرمادا

فديتكِ اسمعينا كلَّ لحن ... يُحوِّلُ يأسَنا أملاً مُفادا

وخلّي العاجَ ينشد أن فيه ... معاني العمر تكتسبُ امتدادا

فنعتقد الهوى نوراً تجلّى ... وأكثر ما يُرى النورُ اعتقادا

لأن الحب يرسلُ وهو داجٍ ... إلى القلب الوجيعةَ والفسادا

١٤ ديسمبر سنة ١٩١٦

* * *

مجيلةُ الورق

جلستِ تجيلين أوراقهم	ومنها جدودُهم تُعلم
فتعثرُ هذى وتنهضُ تلك	وأنتِ القضاءُ بهم يحكم
إذا ما غنمتِ وإما غرمت	سواءَ جلا وجهَكِ المبسمُ
تدور الدنانيرُ منهم عليكِ	ومنكِ عليهم إن يغنموا
فتجرى على راحتيك الشموس	وتُنشَرُ من يدَكِ الأنجم

إبريل سنة ١٩١٣

* * *

زر الكهرباء

غمزتِ زراً للكهرباءِ   به نَوَّرَ المكان
كأنك اللَّهُ خالقاً إذ   قال للنور كن فكان

* * *

الرَّاقصةُ

بغضتُكِ راقصةً أنه ... يطوّق خصركِ غيرى فادرى

وتسرينَ بين يديه على ... رخيمِ الغناءِ لعوبًا ويسرى

وتنتهيان معًا فى النعيم ... لذيذَ المنى تجريان وتجرى

وتنفلتان لها مَرحَيْنِ ... وتجتمعان بكفٍّ وصدر

فتستسلمين إليه بنَفسٍ ... طروبٍ ولهوٍ وخفةِ فكر

وتُعكسُ منكِ عليه عواطفُ ... قلبكِ وهى مطالع فجرى

ونمَّ عليك احمرارُ الخدود ... وما تحتويه ابتسامةُ ثغر

فتُمتِّعَ غيرى منكِ بقدٍ ... وزندٍ ونهد ووجهٍ وشعْر

وقد ضمَّ بين ذراعَيه مَن ... أُفدِّى بقلبى وروحى وعمرى

أرانى إذا ما تأملت ذلك ... ضُلِّلَ رشدى وأشكل أمرى

وقامت قيامةُ روحى علىَّ ... وأطبق رأسى وأفرغ صبرى

وما دام يرضيكِ بؤسى وذلى ... فخليكِ راقصةً واستمرى

ولا تفكرى بى من بعد ذاك ... وطيبى بغيرى نفسًا وقُرى

ولا تـــأمــلى بــى ولا تـطـلـبــيـنـى ولا ترحـــمـيـنى وارضى بهـــجـرى

وإن متُّ فى الهــجـر منـكِ فـبــعـدَ مماتى قـومى ارقـــصى فـوق قـبـرى

٢٦ فبراير سنة ١٩١٧

* * *

العَيْنــان

عـيـنـاكِ علمـتـاني الـشـعـرَ والغـزلا ... وحـاكَ لحظاك أكـفـاني بـمـا غـزلا

صـددت عني فلم أملك سـوى نفسٍ ... بـه أردُّ الأسـى والـبـؤْسَ والـعـللا

اللّـه اللّـه في عـيـنيـكِ نورهمـا ... قـد صار للقلب عن إشغـاله شغـلا

إني دعـونـى مـحـبًّـا في هواكَ وهل ... يُدعى محبًّـا فـؤادٌ في الهوى قتلا

مـا كنت إلا شـهـيـدَ المقلتَيـن ومـا ... عرفتُ في الحب من يستشهد المقلا

أرى بعـيـنـيـكِ نـورَ الفجر منبثقًا ... والحبُّ منبعـثًا والعـمرِ مقتبلا

وفي فـؤادي لـيـلَ البـؤس نـازلـة ... دجاه في مهجـةٍ فيهـا الأسى نزلا

إني غـدوتُ يـراني الصبـحُ منفـردًا ... حتى يـراني ظلام الليـل مـعـتـزلا

فـأعـشق الفـجـر ورديًّـا مـبـاسـمـه ... وأعشـق الزهـر منه ناضـرًا خضلا

وأعشقِ الشمس مرفوعًا لها علم ... كـأنه ناشـر فـوق الـورى كللا

والـبـدر تـؤنـسـنـي أنـوارُه وأرى ... في النجم لي راحـةً إن ضـاءَ أو أفلا

أُصغي إلى الماءِ يجري في مسارحه ... على الحصى وهو صبٌّ يغنم القبلا

إني لتطـربني الأمـواجُ منشـدةً ... لحنًا يعيد فؤادَ الصخر مختبلا

والطيـرُ شـاربـةً نـور الفـضـاءِ إذا ... جرى حيـاةً لها صارت به جزلا

والأفقَ مدَّ يدَ الحسنى مباركةً   لا يستر الليلُ منه المبسمَ الرتِلا [1]

تحيطُ بي بَهَجاتُ الكون حافلةً   تعيد قلبى لها بالصمت محتفلا

والصمتُ أفصحُ ما يملى الوجودُ على   قلبٍ يكون بسرِّ الكون منفعلا

يُفضى إليه بما تخفى المنى أملٌ   تغدو به روحه مملوءةً أملا

عيناكِ والكونُ قد آلى الجمال على   قلبى يُرى بهما فى العمر منشغلا

وكلما رمتُ إعمال الرويَّةِ فى   سر الجمال رأيتُ العقلَ معتقَلا

وإنما الحسن نور الحب منعكسًا   على الحبيب فيبدو الحسن مكتملا

ويكسب الحبُّ تمكينًا به وهما   فى العمر اختلفا يومًا ولا انفصلا

عيناكِ تحتملان الأفق مبتسمًا   وهاك قلبى نور الحب قد حملا

هما ألحَّا على نفسى فما ضمنت   لنفسها غيرَ جمر فى الحشا اشتعلا

يا مقلتاكِ وإنى شاربٌ بهما   خمر الهوى وفؤادى فى الهوى ثملا

بى من غرامكما يأسٌ يلج وقد   أعاد روضَ حياتى بالأسى طللا

إبريل سنة ١٩١٧

* * *

(١) المتسق الأسنان .

المنفـــرد

عـدمتُـكَ قلبًـا لا يجـيب وقـد دعـا إلى العـقل داعٍ بـالهـداية أسـمعـا

إذا لجت الذكـرى فـمـا العـذلُ نافـعًا ومـا مكان مـرجـوَّ الشِّـفـاءِ لينـفـعـا

ومـا اللوم إلا باعث الوجـد والأسى يجـدد ذكـــراً فـى الفـؤادِ ملوِّعـا

تسـيل جـراحـاتُ الفـؤادِ إذا الهـوى أثار بـه الـداءَ الدفـيـن فَـأوجــعـا

وإن لـم يُصـبْ قلبُ المحب شـفـاءَه أصـاب ولكن فى الملامة مـصـرعـا

فـقـدتُ أمـانيَّ الشـبـاب فـخلَّـفت فـؤادى لـكـن خـافـتًـا منقطعـا

وألفيتُ عـمرى فى الوجـيعة ضـائعًا فللّـه عـمـرٌ فى الوجــيعـة ضُـيِّعـا

أردد فى الـدنيـا شـكـاتى وأنهـا تـردد فى الـدنيـا عـليَّ التَّـفَـجُّـعـا

لقــد كـان لى عند الحـبـيب وديعـةٌ هى القلبُ فى سر الهوى كان مودَعا

فـمـا حُـفِـظَـتْ تلك الأمـانةُ بل غـدت لِضَـيْـعَـتِـهـا نفـسى تضج تَـفَزُّعـا

وتنظـم هذا الشـعـر يجـرى به الأسى كمـا تسكب العينـان فى الحزن أدمعا

لقـد خُلِقَـتْ بعضُ النفـوس طمـوحـةً إلى النور إن تفـقـده لن تتـمـتَّـعـا

ويؤلمهـا فى صـبـحـهـا ومـسـائهـا من الناس إغـلاقُ العـقـول تَـمنُّـعـا

وإظلامُ إحساس القلوب صلابةً فلست ترى فيها إلى اللين موضعا

إلا أن بعض الناس يشقى ببعضهم وأشقاهم مستوعبٌ ما بهم وعى

تقحَّمتُ أهوال الحياة لغايةٍ بقيتُ إلى تحقيقها متتبِّعا

وشفَّعت فيها الله سبحانه وقد أبى الله لى فى كونها أن يُشَفَّعا

طويتُ عليها العمر لو كان بعده مجالٌ لها عالجتُه متوسِّعا

فرحتُ وراحت لا بها أنا غانمٌ ولا سلكت نحوى إلى الغنم مَهْيَعًا(١)

أإخفاقُ سعىٍ فى الحياة ملازمٌ وغُلَّةُ صدرٍ لا تفارق من سعى

وتصريمُ آمالٍ وتطويحُ رغبةٍ وتبعيدُ أسبابٍ تقرب مطمعا

فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها ولا كان يومٌ عابسًا باسمًا معا

هم أبصروا للجهل جاهاً ورونقًا وهم رفعوه بينهم فترفعا

وهم قلبوا معنى الحجى فتقلبت وآمَنُ وجه العمر أصبح مفزعا

وهم كذبوا حتى فشا الكذب وادعوا فأيقن بالنجح الغبىُّ الذى ادَّعى

وهم هزأوا بالحق فارتدَّ ساخطًا وهم زعزعوا ركنَ الهدى فتزعزعا

وما كنتُ إلا واحداً فى جماعةٍ على نفسه إذ أفردوه تجمعا

فأصبحتُ فى عين السموات عَالَمًا وفى عين هذا الناس فرداً مضيَّعا

---

(١) أى طريقًا واضحًا .

وسرتُ وفى قلبى عواصفُ جمةٌ تُعيدُ رياضَ العمر فى الصدر بلقعا
ولو سالمت سلمى لكنتُ بنانها طواعيةً بل ربما كنتُ أطوعا
ولكنها آلت علىَّ قطيعةً وآلت على قلبى بأن يتقطعا
فبتنا كلانا فى الحياة مخيبًا يرى شملَه بعد التئامِ تصدَّعا

١٧ يونيو سنة ١٩١٧

* * *

النَّغمةُ

هي نغمةٌ رَدَّدْتُها دهرا — وقضيتُ في ترديدها العمرا
شكوى من الحب الذي انفطرت — روحي به لما غدا هجرا
ما أضيع الأيامَ مجفلةً — في قلب صب يألف الذكرى
يبكي على الماضي وقد ضربت — نُوَبُ الليالي دونه سترا
نهوى ولكن مرةً فإذا — من بعدها عاد الهوى مَرًّا (١)
تبع الفؤادُ شوارداً ومضى — لا يهتدى براً ولا بحرا
فيكون ما قد جدَّ تسليةً — للنفس فيها قد جرى مجرى
ما آثَرَتْ نفسى الجديدَ ولا — خَلَّيتُ فيه من دمى أثرا
ودمى تقاضاه القديمُ ولا — منٌّ عليه أنه أحرى
يا هند قلبي كان نابتةً — شربت جمالكِ شُربَها القطرا
فتحت على الجنات مقلتَها — فرأتْكِ في آفاقها بدرا
فمَضَتْ عليكِ حياتُها فإذا — أُبعدت عنها عوجِلت قهرا

(١) أى مراراً .

من لى بآمالى وأنتِ لها | تولين قلبى العسر واليسرا
فأرى ببعدكِ كل كارثةٍ | وإذا قربتِ الأنس والبشرا
الغابُ تؤْنسها الطيورُ فإن | صمتت تثير الهولَ والذعرا
والليلُ هذا النجمُ زينتهُ | إن غاب أرخى للأسى سترا
أعطيت كل الحسنِ موهبةً | وهواى زادكِ حسنهُ وفرا
يا حسنَ ذاكَ الوجهِ مندفقًا | نوراً وذاك الثغر مفترا
حلاَّكِ فكرى حين حام على | صفحاتِ حسنك ينفثُ السحرا
يا ربةً حار الفؤادُ بها | فوق المحاسن تلبس الفكرا
هذا سناؤك لونُه وكذا | نور الصباح يموّج الفجرا
لا غضَّ فيه على جمالكِ إذ | أخذَ الذى أعطى وما أزرى
فالفكر عندى ليس باعثهُ | إلا جمالُك ساميًا قدرا
هذا وذا سِرَّان قد خفيا | للّهِ سرٌّ باعثٌ سرًا
وُقِفَتْ عليك مداركى فغدت | مثل النسيم يلاعب الزهرا
وبذلتُ فيكِ عواطفى وأرى | هذى الأشعةَ تسكن القفرا
يا هند كم جاهدتُ فيك وما | أوليتنى إلا الأسى أجرا
أملتُ أَعرافَ الهوى ولقد | خطّأْتنى وغدا ألهوى نكرا
من ذا يعاندُ ربَّهُ وأرى | يا هند أجملَ ما أرى الصبرا

٢٣ يونيو سنة ١٩١٧

* * *

الــــداءُ

لم أشفَ من ذلك الداءِ الذى فنيت ... بـه الحـشاشـةُ مما سـامـهـا ألـمـا

إن كـان صـحـة غـيـرى طول عـافـيـةٍ ... فـصـحـتى طـولُ هذا الداءِ قـد حُـتِـمَا

إنى شـقـيـتُ بـه مما فـسـحـتُ لـه ... بيـن الضـلوع فكان الجمرَ مضطـرما

وكـلمـا عـاودت ذكـراكِ عـاودنى ... شـوقٌ ويـأسٌ همـا مـوت الفـؤاد همـا

مللتُ نظمَ قـريضٍ قـد نشـرتُ بـه ... عـواطفًـا نَـديَـتْ بـالدمع منتظمـا

وكنت أمَّـلتُ بـرأً فى البـعـادِ وإذ ... همـمتُ همَّ علـىَّ الدهـر منتـقـمـا

فـقـلتُ للنفس لا حـزنٌ ولا جـزعٌ ... إن الشـبـاب حـيـاةٌ تـغلب السـقـمـا

لـكن تَـغلَّـبتِ الويـلاتُ وازدحـمت ... بيـن الضـلوع فـضـاق الصـدر مُزْدَحمَا

يا هـنـد هل أبـصـرت عـيـناك بـارقـةً ... ألا رأيـتِ ظـلامًـا بـعـدهـا دهـمـا

للّـه آمـالـنا فى العـمـر كم سـخـرت ... مـنـا وللّـه وجـدانٌ غـدا عـدمـا

قد أسـلم القلب نفسى للأسى أسـفًا ... منـه فـمـا سـلمت منـه ولا سـلمـا

١٢ أغسطس سنة ١٩١٧

* * *

سليم وسلمى

إلى نادرة العصر * وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين * ونابغة القطرين

خليل مطران

* * *

الهدية

هذه قصة قلبين قضى كلٌّ شهيدا
وقليلٌ لهما أن يُذكرا ذكرًا حميدا
في قصيدٍ لست بالآمل أن يُدعى قصيدا
فلذا قلدتُها اسمًا طائرَ الصيت بعيدا
محسنًا يُرعى عليها ضامنَ الذكر مديدا
صغتُها في قالبٍ لولاه ما كان جديدا
فغدا في ذاك عندي مبدئَ الفضل معيدا
أن يعرها نظرةً منه فقد صرتُ سعيدا

* * *

القصة

يعاتبها فيه الفؤادُ مفندا فتغريه حتى ينثني متوددا
وتُسمعه من سَورة الوجد آيةً يعود بها آدمى وأضنى وأوجدا
إلا أن ثورات الفؤاد قواتلٌ إذا لم تصب من خالص العقل مسعدا
ولكنه فات الزمان وأُطفئت مناراته فازورّ واشتط مبعدا
وفى كل يوم غفوة وانتباهةٌ لناحلة وجداً وفاقدة هدى
على ذلك القلب الذى أضمر الأسى إلي ذلك الوجه الذى حجب المدى

* * *

أحبته ملءَ الصدر فى مرح الصبا جميل المحيا فاتر اللحظ أصيدا
ولم تستشر فيه النهى أن حكمها يعيد لها وجهَ المحبة أسودا
فتى مثل ريحان الجنان نضارةً يطالعها بدراً ويخطر أملدا
وتبرق عيناه ذكاءً كأنما محبتها مرّت بعينيه أثمدا
لقد نزلت من قلبه فى مكانة ينم عليها خدُّه متوردا
ودلّ على حبٍّ عظيم مشوله لديها حييًّا واهيًا متجلدا
إذا لحظتها مقلتاه تنهدت وإن لحظته مقتاها تنهدا
تحب الغوانى فى الفتى شيمة الحيا ويعرضنَ عن مستوقح قد تمردا

* * *

سليم وسلمى اسماهما سرٌّ رامزٍ بقلبين في روح الهوى قد توحدا

تعشقها بنت السراة ولم يكن يضارعها عزًّا وجاهًا ومحتدا

وليس له في العمر إلاَّ شبابُه وعقلٌ يراه في الأُمور مسددا

وسلمى فتاةٌ تشبه الشمس طلعةً لها وجَنَّة كالورد كلَّله الندى

وعينان إنساناهما قد تلألآ كنجمي سماءٍ يبرقان زمردا

وجيدٌ كأن الفجر شق عموده وحلاَّه بالنجم المضيء وقلَّدا

وشَعرٌ كَعقْدِ التاج زيَّن رأسها فإن أسبلته انساب تبراً مجعدا

وقدٌ كغصن الزنبق الغض ناعمٌ إذا راوحته الناسماتُ تأوَّدا

وتمشي كأن الأرض ليست تَبَسُّها لها قدما ظبيٍ تُقلان أميدا

وتضحك ضحكات الطهارة مثلما تجاوَبَ طيرٌ في الأَراك وغردا

وتبسم عن درٍّ نظيمٍ مطلةً بوجه لها يزهو لجيناً وعسجدا

فيعشقها في صبحه ومسائه وفي أمسه الماضي ويعشقها غدا

ويعبدها في الخُلق والخَلق ربةً له وفخارٌ أن تجلَّ وتعبدا

يكدُّ ليرضيها بإعلاءِ شأنه إذا نال في الدنيا علاءً وسؤددا

إن انحط عنها في الحياة فإنها أقامت له مِرقاةَ حبٍّ ليصعدا

وقد وعدته أن يكون حليلَها ولم تك ممن ليس يصدق موعدا

* * *

لهـا والدٌ لم ينضج العلمُ رأسه ... فما انفك فى الطبع القديم مقيدا
يرى سطوة الآباء حقًّا مؤيدا ... تبيح على الأبناء حقًّا مؤيدا
ولا يفهم الدنيا الحديثةَ إذ يرى ... تَمدُّن أهل العصر للخَلْق مُفسدا
وهل يبصر النور امرؤٌ حين تنجلى ... أشعتُه إن كان أحسر أرمدا
يرى وهجًا فى طيه كدرة بدت ... ويجهل أن هذا بعينيه قد بدا
ولا شك فى نقص الجديد وإنما ... يفوق كمالاً للقديم غدا سدى
وإن أبا سلمى كثيرٌ مثاله ... يضيقون حصراً فى الورى وتعددا

* * *

وجاءَت أباها مرة وشكت له ... غرام سليم وهو إن طال أقصدا (١)
وقالت له ما ضر لو زوّجتْ به ... وما كان إلا كامل الخلق أيِّدا
فإن يكُ عنهم قد تدانى مقامُه ... فمن يتزوج سيداً كان سيدا
ولكن أبوها كان صلبًا طباعه ... وكان عليها قاسى القلب أصلدا
فقام إليها مجفلاً متباعداً ... وظنّ الذى قالته سلمى له دَدا
وكذّب فيها سمعَه وعيانهُ ... وراجعها فيما تقول مؤكدا
فما زاده إلاّ اقتناعًا حديثُها ... فهاج غضوبًا شاتمًا متهددا
وأوسعها سبًّا وخلّى نهارها ... ظلامًا بما أرغى عليها وأزبدا

---

(١) قتل .

أتعشق بنتَ الشؤم ثم تجيئه ... ليسعفها فيمن تحب وينجدا
ولا تستحي فيما تقول ومن له ... مكان سليم أن يزوجها الردى
كذاك ضعيف الشأن خامل سمعة ... تسربل أثواب المهانة وارتدى
أيجرأ أن يهوى فتاةً كبنته ... ويخطب قلبًا منه أسمى وأبعدا
ألا لا وبئس العمر أن تقدمَ ابنةٌ ... على أمرها كيما تضل وتفقدا
وأقسم أن لا تبرح البيت ناصحًا ... بأن تستشير الراشدات لترشدا

* * *

هنيئًا لأهل الفقر شدة فقرهم ... فرب ثراءٍ كان فقراً مشددا
وأن الغنى حرية القلب فى الورى ... وما زاد عنها فالحكاية والصدا
وراحةُ فكر المرءِ أكبر نعمةٍ ... بها كان عيش المرء أخضر أرغدا
وما ضر تزويج الوضيع بغادة ... أجل مقامًا منه إن كان أغيدا
على أنها إلا حساب أكثر ما تُرى ... لَتُذعر أن يدنى إليها وتنقدا
تريك الذى لا يملك المرءُ وجهه ... لديه وأنكى لو تريك وأنكدا
يقلد بعضُ الناس بعضَهم وهل ... يعيش الذى يقضى الحياة مقلدا
وأكثر ما يأتيه عادات سابق ... له وهو آت بعده قد تعودا
إلا أنها العادات سلعة خاسر ... ولن يترقى القوم إلا تجددًّا
ولن يلدَ العقل الكبير كبيرةً ... إذا لم يجل فى حومة العمر مجهَدا
فتنسخ عادات وتنشأ غيرها ... فإن راج بعض أصبح البعض مُكْسَدا
وقيمةُ هذا العمر يوم وليلة ... وما السعد إلا فى الذى لاح مسعدا

وما النور إلا ما ترى العين صافيًا ... وما الليل إلا ما ترى العين أربدا

ولم يخش بعض الناس إشقاءَ بعضهم ... لوهمٍ قديم في النفوس توطدا

* * *

نعم زوجوها جاهلاً غير أنه ... له ثروة طابت كما طاب مولدا

أخا بدواتٍ في الحياة مرافقًا ... ثلاثًا ملاحًا في الفواجر خردا

فيصرف في الحانات معظم وقته ... على منضدات اللعب جنحًا ومغتدى

ويغرم بين الكاس والطاس صحةً ... ويغرم مالاً في القمار مبددا

فإن أخلصت سلمى له النصح ردها ... ثقيلاً عليها ناهيًا متمردا

يقصُّ سفاهات الأزقة كلها ... ويروى فظاعات المقاصف منشدا

ويغلظ في عرضِ الحديث فإن شكت ... فأهونُ أمرٍ زجرها متوعدا

وإن رغبت أمراً لها رام ضده ... حرونًا وغالى في النكاية واعتدى

ويضجر أن يأوى إلى البيت ساعةً ... فيخرج غضبانًا ويأتي معربدا

فلاقت عذابًا هوَّن الموت بعضُه ... بما وردت من شرعة الذل موردا

وساعةُ تعذيبٍ تساوى ثراءَها ... وتنسى جميع الجاه والعز والجدى

وتكتم سلمى بؤسها وغرامها ... بمن أبعدوا عنها أسيراً مصفدا

هوًى في شغاف القلب عاص كأنه ... إذا لجَّت الذكرى لهيبٌ توقدا (1)

---

(1) الشغاف بالفتح : غلاف القلب .

كــمـــا رُمــيـت دون الـورود غـزالـةٌ ... وقــد أفلتت لـم تُظـفِـر المتـصـيـدا
وفـــازت بقـــتَّـالـيـن ســـهـم وغـلـةٍ ... يمضَّـانـهـا حـتى تموت فـيـهـمـدا
كــذلـك سلمى إذ تـفـاقـم خطبـهـا ... عليـهـا وشـهَّـى أن تموت وتلحـدا

* * *

وأين سـليم ؟... أنـه بعـد قطعـه ... أسيفًا مضى لا يعرف اليوم والغدا
مضى حاملاً فى القلب جرح غرامه ... لدن سالِ واستشرى به وتفصدا
على أنه جـرح دخـــيـل ومـن لـه ... بأن يأسُو الجرح الدخيل ويضمدا
إلا أبلغـوهـا فـى القـطيـــعـة أنـه ... أصـــاب عـذابًا مـــفـنيًّـا وتكبـدا
ومـــا مـــات إلا أنـه كـل سـاعـة ... يموت بهـا يأسًـا ويحـيـى تجـلـدا
ويطـوى على العـلاَّت ضـيِّق صـدره ... ليسلو الهوى فى الشغل كدحًا ومكتدى[1]
وهيـهـات سلوان لولـهـان عـاشـق ... أخى حـرق فى ابحب لن يتبـردا
إذا عـاش بعـد اليـأس منهـا فـإنه ... لسِـرٌ أقـام الكـائنـات وأقـعـدا

* * *

أتعـرف سلمى الصـاحـبـاتُ فـإنهـا ... ضـجـيـعـة مـهـد للشـقـاءِ تمهـدا
تخـرم داءُ القلب خـافـقَ قلبـهـا ... فـأوسـعـه يأسًـا وسـقـمًـا وأجـهـدا
تعـد الليـالى البـاقـيات تفـجـعًـا ... وتبكى الليـالى الماضـيـات توجـدا

---

(١) أى عملاً وسعيًا .

وترثى شبابًا كان نوراً وقد خبا ... وتندب قلبًا كان جمراً فأُخمدا

وتحسب ما قد مرَّ من عهد حبها ... وترجع بالذكرى إليه تفقُّدا

إلا أنها صانت عواطفها كما ... تُصان الغراسُ الناميات تعهدا

وكم أقلقت ذكرى سليمٍ فؤادها ... فأحيت له الليل الطويل تسهدا

إن اضطجعت من دائها مستريحة ... رأت شبحًا بالقرب منها توسدا

وإن نهضت تمشى تمثَّل شخصهُ ... لدى ناظريها واقفًا متجسدا

فتبصره طوراً شقيًّا مخيَّبًا ... وطوراً قرير العين جذلان مسعدا

فتزعجها أشباحهُ وهي حوَّمٌ ... تروح وتغدو في الأماكن روَّدا

ويصرعها الداءُ الدفين وأنه ... أحار أساةً في العلاج وعُوَّدا

إلى أن تمادى عاديًا متثاقلاً ... وحلَّ قواها الفانيات وأهمدا

فماتت وغصَّاتُ الأسى فى فؤادها ... ومقلتها فى الأفق ترقب فرقدا

* * *

نعودها إليه فاستقرَّ ملجلجًا ... كما هزت الأنواءُ صرحًا مشيدا

ولم يبكِ لكن أجمد اليأسُ دَمْعهُ ... وشَرٌّ دموع العين ما قد تجمدا

فضجَّ عليه قلبه متقطعًا ... ولجَّ عليه عقله متشردا

وثارت عليه الروح تطلب ثأرها ... كما هز قرمٌ فى الجلاد مهندا

فبات بحمَّى صدَّع الرأس جمرُها ... كما أبرق الغيم الجهام وأرعدا

ووافى أباها غاديًا وهو حامل ... حديداً طليق الشفرتين محددا

وقــال لـه : يا مـذبلاً زَهَـر الـصـبــا ... ويا جـاعـلاً مـاءَ الشـبـيـبـة أركـدا

أعـد لى سلمى ... أين سلمى ؟.. ألم تكن ... تُفَدَّى بأرواح لكـمت لهـا الفـدى...

وطــار شـــــرارُ الموت فـى لحظـاتـه ... فـأمـسكـه من راهشـيـه مـشـددا [1]

وأشـفق مـذعـور النهى مـتـراجـعًـا ... مـهـولاً كـمـا لَـوْ حَـيَّـةٌ لسـعت يـدا

إلا أنـه نـذل الفـؤاد جـــبـانــه ... بإيـذاءِ شـيـخ أحـدب الظـهـر أدردا

أيقـتـل هِـمًّـا قـد تـداعى عـمـوده ... ويغضب سلمى فى التراب تعمدا [2]

ويردى بـهـا من كـان أصـل حـيـاتهـا ... ومن كـان لو تـودَى بمهجتـه ودى [3]

أتاهـا الأذى منـه ولـم يكُ قـاصـداً ... ولا ثـأر ممن لـم يكـن مـتـقـصِّـدا

نعم ... لا ... ولكن ثورة الحقد لم تمت ... وحـسـب سليم أن يثـور ويحـقـدا

لقـد أعـجم الهـول الفظيـع لسـانـه ... مـغـيـراً ببـاقـى عـقـله مـتـنجِّـدا

فـلـزَّ إلى أضـلاعـه النصـل خـارقًــا ... وغـيَّـب فى العظـم الحـديد وأغـمـدا

ومــال صــريعًــا كـالمنارة إذ هـوت ... وكـالجـذع ملقـيًّـا طـريحًـا ممـددا

. . . .

* * *

---

(١) الراهش عرق فى الذراع .

(٢) الهِمّ بالكسر : الشيخ الفانى .

(٣) أى أعطى دية دمها .

ألا استقبليه صادق العهد وافيًا أميـنًا بلا وعد أتاك ولا نِدا

وناما بأَمْن اللّه في ظلّ جَنَّةٍ أُقيمت لأرواح المحبِّين سرمدا

وقرًّا بها عينًا وطيبًا سريرة وعيشا بها عيش الهناء مخلدا

تنبَّهتما في رحمة اللّه فاذكرا محبين ظلُّوا في المصائب رقدا

أكتوبر سنة ١٩١٧

* * *

العــام
سنة ١٩١٧

وَلَّى ولـم يشـعـر بـهِ أحـدُ ... عـامٌ كـأمس مـضى بـه الأبـدُ
اليـومُ أَطـولُ منـكَ ضـائقـةً ... بـالوجـدِ مـثـل الجـمـر يتَّـقـد
لمـا أَذنـتَ بـفـرقـةٍ بقـيـت ... فـينـا المصـائبُ عنـك والكمـد
حـتى م يُغـريـنـا الزمـانُ ولا ... سـلـوى تجيءُ بمـا يجيءُ غَـدُ
تتـعـاقب السنـواتُ تـاليـةً ... والعـمـر لا يألـو بـه الجـهـد
والنـفس ترغب والمنى عِـدةٌ (١) ... والدهـر ليس يفـي بمـا يعـد
دنيـا تبكـينـا وتضـحـكـنـا ... منـا وجـامـعـة النهـى بـدد (٢)

* * *

يـا عـامُ مـا نصـل الظـلامُ ولا ... غنَّـى الصبـاحَ البلبـلُ الغـرد (٣)
جـلَّت حـوادثك الطـوالُ كـمـا ... جـلَّ الأسى والبـؤسُ والنـكـد
والدهـر أجـفـل منـك تذعـره ... تلك الجـيـوشُ وهـذه العُـدَدَ

---

(١) وعد .
(٢) متبددة .
(٣) نصل الظلام من قولهم ، نصل الشعر إذا زال عنه الخضاب .

الأرضُ توقد للورى حممًا (١) … تُفنى الرجالَ بكل ما وقدوا

طال القتالُ وتلك مجزرةٌ … فيها يضل العقلُ والرشد

يشكو الثرى شُرْبَ الدماء وقد … هدرت ولا ديةٌ ولا قود (٢)

إن أبطأ النصرُ الذى طلبوا … وتباعد القصدُ الذى قصدوا

لا بد من يوم يحقُّ لهم … نصرُ الإله وعيشةٌ رغد

ما فى الحجى سلمٌ تعود على … هذا الورى حربًا فتطَّرد

ودفاعهم فتح الإله لهم … قاموا به للحق واجتهدوا

لا يستباح حمًى له خفرٌ … ويموت دون عرينه الأَسد

* * *

رَحِّبْ بأعظم دولة (٣) نهضت … للعدل تعدله فلا أود (٤)

نَبْتِ الزمانِ جديدةٍ جملت … تيهًا بها أثوابها الجدد

للعلم فى ساحاتها عملٌ … يمشى بها فهما بها أحد

أخذوا القديم وجدَّدوه بما … اخترعوا وزادوا فيه وانتقدوا

بنشاط مضمون النجاحِ له … من علمه ونشاطه سند

ولسانه وفؤاده شَرَعٌ … فكأنما هذا لذا عضد

---

(١) هى الرماد والفحم وكل ما احترق من النار .

(٢) قصاص .

(٣) المراد بها أمريكا .

(٤) اعوجاج .

أغنى الأنامِ فكل ما ملكوا ... بذلوا انتصارَ الحق واعتمدوا

قل للعدوِّ غداً تصبحكم ... بنتُ البحار ببأسها تفد

جيشٌ يضيق البر منه فما ... لرجاله وخيوله عَدَد

ووراءَهم فى البحر ماخرةٌ ... هَضَباتُ عزٍّ سيرُها وخد

وعليهم سِربُ النسور إذا ... ما أبرقت نيرانهم رعدوا

هل عندكم مدد وقد وصلوا ... يصلونكم سقراً وهم مدد (1)

* * *

يا عام روَّعك الزمان وقد ... أودى بملك وهو منتضد (2)

عرشان فى الدنيا بربهما ... سقطا وقد خانتهما العمد

صَغُر الذى خان العهودَ فلم ... يخلعه إلا الأبيضُ الحرد (3)

فى جنب أكرم هامةٍ رفعت ... لله يرفعها فيقتصد (4)

رب الديانة فى رعيته ... بعد الإله لذكره سجدوا

يوليهم شراً إذا كفروا ... وينيلهم خيراً إذا حمدوا

رب الولاية والهدى بهم ... قد كاد يعبد فى الذى عبدوا

---

(1) سقر : جهنم .

(2) منظم .

(3) المراد هنا بقسطنطين ملك اليونان ، والأبيض الحرد : السيف .

(4) كناية عن قيصر الروس .

رب الجيوش كأنَّ مربضها موجُ البحار حديدُها الزبد
رب المعالي لو يمد يداً لَمَسَتْ سماءَ اللّه منه يد
قد حُطَّ عنه التاجُ منعقداً اليوم لا تاجٌ فينعقد
واليوم قد كفروا به وهم في الدين قد نسخوا الذى اعتقدوا
واليوم قد دفعوا مواهبه عنهم وبعد الشكر قد جحدوا
واليوم في الدركات أنزله صببُ القضاءِ فما له صعد
والجيش يشهد هول سقطته والأرض جازعة لما شهدوا
عظةُ الليالي أنها اتَّأدَتْ بالخلق لو في الخلق متَّئِد

* * *

يا عامُ والأيامُ ذاهبةٌ هلا توقَّف دونك الأمد
تمضي وما بردت لواعجُنا صبراً ولا شفيت لنا كبد
إنَّا وردنا العمر فيك فما في العمر فيك على البلى نرد
أما الحياة فبارقٌ وعلى أكنافها الظلماتُ ترتعد
والناس فوضى في الحياة ولا يألو اجتهاداً فيهم الحسد
يمشي الفَناءُ بهم وجاذبه رَغَباتُهم والروحُ والجسد
حتى يُقرَّهم بخاويةٍ فيها تساوى الشيخ والولد
ويجيءُ يومٌ لا السنون لها معنى ولا رقمٌ ولا عدد

والكون يُمسى ليس تعمره إلا زعازعُ فيه تطَّرد [1]

تفنى الحياةُ وكل ذى نسمٍ فيه ويبقى الواحد الصمد

٨ و ١٠ يناير سنة ١٩١٧

* * *

(١) زعازع : جمع زعزع وهى الريح الشديدة التى تزعزع الأشياء وتطرد : أى تتبع بعضها بعضاً .

الكبرياء

إلى ن ...

أما الحب فمثلما علمت — حرقٌ تزيد وأضلعٌ تغلى
ذهب الربيع وليس يعقبه — إلا لوافح نارها تصلى
تصفرُّ منها كلُّ نابتةٍ — فى الأرض أو فى القلب والعقل
والجسم يبليه الهوى وإذا — زاد الهوى فالروح ما يبلى
قولوا لها عيناكِ فاضحتا — قلبى بسحر الحب والكحل
كأسان كان الموتُ خمرهما — القلب يشربها ويستحلى
والعمر طولٌ فى العذاب ولن — أرضى بأن أفنى على مهل
زيدى جوًى أَزْدَدْ عليكِ أسى — كيما أعجل فى الهوى قتلى
كم باذلٍ من نفسه فُقدت — منه بلا شكرٍ على البذل
ومحبةٍ تشقى وتتعس إذ — فى العمر لم تنزل على أهل
ما كان إلاَّ النبلُ باعثها — يا هند لا حبٌّ بلا نبل
أسمى العواطف ليس يفهمها — بين الورى إلا أُولو الفضل
فعلى م تقطعنى وما وصلت — هندٌ ولا قطعٌ بلا وصل

سل عن معانى الكبرياء ولا تعتب فلن تسلو ولن تُسلى

واقذف بهذا القلب فى لجج للصدر طامية من الجهل

واظلم شبابَكَ فهو عارية ستردها يومًا بلا مطل

١٦ يناير سنة ١٩١٨

* * *

جـــوابُ الرِّسالة

إلى أ ... أ ...

لقــد بـاكــرتنى اليــوم منكِ رسـالةٌ ... بهـــا كلمـــاتٌ عـذبـةٌ وعــتــابُ

مـــســالمـةً لكن أتـتـنـى فُـــجـــاءَةً ... كـمـا انقضَّ فى جنح الظلام شِـهـاب

تَـنَــزَّلَ وَحْىُ الحب بيــن سطـورها ... وروَّى حـواشـيـهـا شـذاً ومـلاب (١)

وكنتِ التى صَـدَّت على غـيـر علَّةٍ ... ومن دونهـا فى الحب قـام حـجـاب

وخلفتِ قلبى ذاهل اللب حـــائراً ... يخـــاف رزايـا نفـــســه ويهـــاب

فكيف كـتـبت اليوم ناسـيـةً وهل ... يُعـــيـد الذى منى سلبتِ كـتـــاب

سلبتِ ذكـاءً كـان فى العـمـر عـدَّتى ... وعـــزمًـــا قـــفـرُ الحـــيـــاة يُجـــاب

ولم تتـركى شـيـئًـا أقـول حـفظتُـه ... مـعـــينًا لقلبى إن دهـاه مـصـاب

فـحـال ســوادُ اليـأس دون عـزيمتى ... كـمـا حال من دون الضـيـاء ضـبـاب

وبالغتِ فى قطعى وقلتِ صنيـعـةٌ ... وطاولت فى هجـرى وقلت ثـواب

كــذلك يُجـــزى الحبُّ عنـدك أنه ... ينال الذى يبـغى هـواكِ عـــقـاب

---

(١) طيب .

أضعتُ شبابى فيك فالعمر ضائعٌ ولا عمرَ إلاَّ أن يكونَ شباب

لك الحكم كيفَ كان ترفُّقى ولا ذنب إلا كان منه متاب

ولا ليلَ إلاَّ يطلع الفجر بعده وربَّتَما فى الصيف سحَّ سحاب

وها أنت قد طالبتِ قلبى بعودةٍ وقد كان أعيانى إليك طلاب

سأُسرع يحدو بى هواكِ الذى له منازلُ ما بين الضلوع رحاب

فأمحو قديمًا لست أذكره ولن يجدِّدَه فى مسمعيك خطاب

وآمُلها أُخرى تنافرنا فلا يفرّق وهمٌ بيننا وكِذاب

وقالٌ وقيلٌ يذهبان خسارةً بطيبِ حياتينا ونحن غضاب

فكونى كما شاءَ الغرام حبيبتى وأنت حياتى ليس عنكِ ذهاب

وتاللّه ما هذى السطورُ إجابتى إليكِ ولكنى إليكِ جواب

٢١ يناير سنة ١٩١٨

* * *

كلمةُ شــكـر

إلى حضرة الأصولي المدقق فريد بشارة وقد أهـدى إلى الناظم معجم

محيط المحيط

عدمتُ وفائي إن كتمتُ صنيعةً | لكفيكَ عندي كيف تخفي وتكتمُ
وهبتَ محيطًا جامع اللفظ معجمًا | وأنت محيطٌ جامعٌ متكلمُ
كتابٌ حفيلٌ بالفوائد والحجى | به لغةُ الأعراب تزكو وتفخمُ
فكان نفيسًا مرتين وقد أتى | يكرّمهُ منك العطاءُ فيكرمُ
وهذبَ ألفاظي لمدحك أنها | لآلىءُ شكرٍ في ثناك تنظَّمُ
وما هو عندي اليوم إلا فريدةٌ | أتت من فريدٍ فهي ذخر ومغنمُ

٢٨ يناير سنة ١٩١٨

* * *

الصُّور المتحركة

عِظونا فبعض الوعظ قد يسمع الصُّمَّا ... وداروا نفوسًا بيننا دنفت سقما

وكونوا لنا عونًا على الدهر أنه ... ليقتلنا حربًا ويقتلنا سلما

فإن أحرج القولُ المداركَ فاضربوا ... لنا مثلاً يبقى لأشهاده حكما

نقيس عليه كلَّ أمرٍ لعلنا ... نصيب حياةً بينكم أو نصيب اسما

* * *

إذا ضاق صدري واستشفت جوانحي ... لواعج في الأحشاءِ من دونها الحمى

تفنَّنْتُ في أسباب لهوى نافيًا ... بما شملت أنواعُها عني الهما

وأحسنها فيما ترى العينُ ملعبٌ ... - ولا ملعب - يبدو لنا ماثلاً رسما

فيُعكس فيه النورُ يحمل عالَمًا ... يروح ويغدو ساريًا مهتما

وتبدو حياةُ الناس ما بين ظلمةٍ ... ونورٍ فنستجلي وقائعها وهما

وقد تظفر العينان منه بمشهد ... دعابته عمن يرى تدفع الغما

وتظفر منه في مآسٍ مثيرة ... شجونَ فؤادٍ تثقل الروح والجسما

وفي نزهاتٍ بالربيع حفيلةٍ ... تلاعَبَ فيها الغصنُ والزهر فوق الما

نؤمُّ به البلدانَ وهي بعينها ... نراها ولم نبرح مقاعدَنا أمَّا

ونشهد فيها كلَّ أمر ونجتلي سرائر للأحداث نقتلها فهما
وكم بدعةٍ للعلم أحكم سردها وتفصيلها حتى أحطنا بها علما
ورائعةٍ للفن تبدو شئونُها نواصع يستهدى بها الناظرُ الأعمى
وفاتنةٍ حوراءَ يفتر ثغرُها بهاءَ وبدرُ الحسن في وجهها تما
ومفتتنٍ صبٍ يروح ويغتدى من الوجد والتبريح قد ضيَّع الحزما
يداعبها في خلوةٍ غير مستحٍ فيوسعها لثمًا وتوسعه لثما
حوادث هذا العيش مما بدا لنا ومما اختفى تُجلَى وقد أحكمت نظما
منوعةً تُغرى بما شاءَت الفتى فيغرى أديبًا كان أم جاهلاً فدما
ويبرق كالدّر النثير مكانَهم صغارٌ إليه رافقوا الأب والأما
ويثلج صدرُ الغانيات تفكُّهًا برأى خوافٍ لايخفن لها وصما
فيفتر طرفٌ فاتن اللحظ ساحر ويبسم ثغر طاهر رتل ألمى
ويسطعنَ طيبًا في المكان كأنه سماءٌ وروض أطلعا الزهر والنجما

. . . .

* * *

لعمرك أني كلما انفضَّ مجلسي رجعتُ ونفسي منه دامية كلمى
وعاودني بؤسُ الحياة ويأسُها وفي مهجتي قد أحدثا ألمًا جما
أروِّى فؤادى بالمدامعِ مثلما يُروِّى ندى فجرٍ على ظَمإٍ كُمًّا
أُفتش حولي لا أرى غير معشر أرقَّاءَ أسرى - ذاك عيشُهم حتما

كــأنـهم ذاك الـســتــارُ ومــا بــدا — به من شـخوصٍ تشبـه الدم واللحـمـا

فــأضـحك لكنى أعـود إلى الهـدى — فأبكي - وبعض العدل قد يشبه الظلما

ومـا العـمـر إلاَّ كـدرةٌ فى غـضـونـهـا — ملاعب أشباح ترى وجـهـهـا جـهـما

فـيـحـملهم منـه شـعـاعٌ يـديرهم — على صفحات الدهر يُنطقهم بكما

ويُضحك منهم عـالَمَ الغـيب راميًـا — بهم فى مــهــاويه ولا يخطئُ المرمى

فـــإن طلع الـنـور امَّـحــوا وكــأنما — تلاشـوا ولا روح تحــركــهم ثـمَّــا

إلا أنهــا الـدنـيـا زخــارفُ فى دجًى — من الجهل تُمحى كلما مسَّتِ الحلما(١)

١ و ٢ فبراير سنة ١٩١٨

* * *

(١) أى العقل .

حِكَمٌ عادية

إذا تعاميتَ عن ضياءٍ   فلا يمسُّ الضياءَ شينُ
وإن تناسيتَ صدقَ قولٍ   فإن ذاك النسيانَ مينُ
وكلُّ خُلفٍ بالوعد ضعفٌ   وكل صعبٍ عالجتَ هينُ
فلا تبادر بسوءِ ظنٍّ   وإن تكن شكَّكتك عينُ
فرب فحمٍ يكون ماسًّا   وبعضِ صخرٍ هو اللجينُ
دارِ جميعَ الأنام تُمدحْ   فإن مدح الأنام زينُ
ولا تهاترهم فتغرمْ   رجاءَهم فيك وهو دينُ
قد يُكسر العودُ وهو قاسٍ   ويُعشق الغصن وهو لينُ

٥ فبراير سنة ١٩١٨

* * *

المتشاعر

عرفتُ فتًى شأنُه مضحكٌ ... غريبٌ حوى فى الغريب فصولا

تعشَّق نظم القوافى أخيراً ... وكان به العهد قِدْمًا جهولا

عصته وفيها عصى اللائمين ... وصافى البغيضِ وجافى الخليلا

وآلى عليها وآلت عليه ... بأن لا يحولَ وأن لا تحولا

ونادى بنات القريض فجئنَ ... بواكيَ يندبنَ منه عويلا

ولبَّاه كلُّ هزيل المعانى ... تخطَّى إليه وجاءَ هزيلا

وكلٌّ ثقيلٍ من اللفظ وافاه ... ثم أقام لديه ثقيلا

إذا نظم الشِّعر قامت عليه ... قيامته تعبًا ونحولا

يقطع أبحرَه الطاميات ... فواقيع لا يهتدين سبيلا

ويكسر أوزانه مثلمًا ... تفرق جيشٌ فلولاً فلولا (1)

ويجهل حتى هجاءَ الحروف ... ومعنى الكلام جهلاً جزيلا

فيأخذ سينًا بصادٍ ودالاً ... بضادٍ وقافًا بكافٍ بديلا

---

(1) جمع فل بفتح الفاء وتشديد اللام : أى المنهزمين من الجيش بعد انكساره .

وينصب جزمًا ويخفض رفعًا ويدخل في النحو عرضًا وطولا

ورب معانٍ أطلَّت عليه كما سقط الغيثُ يسقى الطلولا

فتقضى على شعره السرقاتُ ويقتل بعضُ الدَّواءِ العليلا

ولا يختفي في الظلام شعاعٌ ويفضح فخرُ الذليل الذليلا

وزنجيةٍ إن تلدْ أبيضًا ينمُّ عليه البياضُ دخيلا

وسارقِ شعرٍ يباهي به يجرُّ مصابًا عليه جليلا

كسارقِ ثوبٍ يكون عليه إما قصيراً وإما طويلا

٦ فبراير سنة ١٩١٨

* * *

الحبُّ نور العُمْر

يا آية النور فدتكِ النجوم | أنرتِ عمراً كدَّرته الهمومْ
نورك جالى الصدر نافى الأسى | ملطفُ الأوجاع شافى الكلومْ
إذا تبسمتِ - ولم تبرحى | باسمةً - فرَّجتِ كل الغمومْ

* * *

أنتِ بردٌ وسلامُ | أنت شوقٌ وهيامُ

وسعاده

لمحبٍ قد تفانى | فيكِ حبًّا وافتتانا

وعباده

* * *

أنتِ تجرِّين خطاه إلى | مرابعٍ فيها الشذا والنسيم
أنتِ إذا استسقاكِ أسقيته | من منهل الروح الطهور والكريم
أنت إذا استعطاكَ أعطيتِه | نظرةَ سعدٍ هى كنزٌ عظيم

* * *

إنمـا أنت الأملْ جل قدراً واكتمل

وتحققْ

وتجلى ناشراً منكِ نوراً عاطراً

يتألّقْ

* * *

قد حسدتكِ النيراتُ التى عليكِ فى أفق الهيولى تحوم

لما بك الجَدُّ قائمًا وكل جدٍّ فى الهوى لا يقوم

ودام فيك الحسن رغم الورى والحسن شيءٌ فى الورى لا يدوم

* * *

قد بدا نورُ بهائِكْ مثل أنوار الملائِكْ

أزليًّا

للهدى يحوى فنونا فتعالى أن يكونا

بشريًّا

* * *

لم يفهم الناسُ سناك الذى أطلَّ وهو الصبحُ زاهٍ وسيم

والناس فى جهلهم أغفلوا مجالىَ الحسن الصحيح الصميم

جازيتهم أنهم أبصروا ولم يروا وهو مصابٌ جسيم

* * *

يفهم الحسنَ محبٌّ قلبه فى الحسن صبٌّ
يتعامى
عن شئون العمر طرًا فهو فى الحب استقرًا
وأقاما

* * *

أكسبه الحسنُ معانى الهدى مغنيةً عن فانيات العلوم
فانطلق العقلُ بها وهو ما بين الورى قد قيَّدته الجسوم
وصار منها شعلةً نارها كأنها فى القدس نارُ الكليم

* * *

بك يستهدى السبيلا وينالُ المستحيلا
كلٌّ هائمْ
إذ أَصابَ الرفدَ كهلٌ من عطاياكِ وطفلٌ
فى التمائمْ

* * *

برزتِ فى الفردوس لما به أَبرز حوَّاءَ القديرُ الحكيم
ما زلتِ توحين إليها الهدى حتى على ما جهلت لا تقيم
فوسوست حوَّاء إلى آدمٍ واقتسما تفاحةً فى النعيم

* * *

فُتِحَتْ عيناهما وبدا عرياهما

في الجنان

فقدا الخلدَ فراحا منه طردًا واستراحا

في الزمان

* * *

أنت هي الحيَّةُ لكنما نفثتِ سُمًّا لم يكن كالسموم

يدب في الجسم دبيب المنى كخمرةٍ ليست عصير الكروم

لكنها سر الحياة الذي بات غذاءً للنهى والحلوم

* * *

جاءَنا من أبوينا عمرنا زينًا وشينا

فرضينا

بكَ يا سرَّ القلوب لمناجاة الغيوب

كي تبينا

* * *

ومرَّت الأجيالُ لا تأتلي عدًّا وكلٌّ بك صبٌّ يهيم

لمت أشعاثهم فاغتدوا وليس فيهم بك نكسٌ لئيم (١)

كلٌّ تساوى فيك لكنما ذلك لم يحلم وهذا حليم

* * *

---

(١) النكس : الرذل .

وستبقين مديدا وتواليين عديدا

مقبلينا

عندما نبقى ترابا بعدنا كوني ثوابا

للبنينا

* * *

وباركيهم واذكرى عهدنا فإنه يصبح عهداً قديم

وإنما الماضى له لذةٌ فى الذكر تحلو للأنيس النديم

يا آية النور تجلى لهم فإنما العمر ظلام بهيم

١٩ و ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨

* * *

ضَجْـــرٌ

عـدمتُـكَ يا قلبُ مـاذا استـفـدتَ وأنـت بـخـــمـــر الحـــيـــاة ثـمـلْ

وفي الـروض قـد ضـحك الزهرُ من بـكـاءِ الـصـبـــاح عـليـه يـهــلْ

شـمــاتًا وسـهــواً كـذاك الزمـان ومـــا يتـراءَى ومـا يشـتـــمـلْ

وأَحـمـِلُ في الدهـر عـبئـك حـتى أموتَ وقـد طال مـــا احـتـــمـل

يراجـعـنى اليـأس فـيـك ملحًّـا فـأُغـرق فـيـه ولا اعـــتـــدل

وكـيـف اعـتـدالى وتفنى الحـيـاةُ ولا يُقـبـلُ الـعـمـرُ بل يرتحـل

وأن هـلال الحـــيـــاة إذا لاح ينقـص من قـبـل أن يكـتـمـل

١ مايو سنة ١٩١٨

* * *

الزَّهـــرةُ الذَّابلة

فى رثاء فقيــدة الصبى والعفاف مينرڤا شيبوب

أكبــرتِ فـيـنا ضربةَ الدهـر ... لمـا رُمــينا منـكِ بالهــجـر

فــرحلتِ عنا غيـر قــاليـةٍ ... مـيـعـادُ لقـيـانـا إلى الحـشـر

كـيف ارتحلتِ وكنتِ نـازلـةً ... منـا نـزول الروح فى الصـدر

أفتـهـجـرين النورَ مـارحـةً ... فـيـه إلى الظلمات والقـبـر

غـدرت بـك الأيـامُ وافـيـةً ... والـدهـر مطبـوعٌ عـلى الغـدر

نـزلـت بـك الحـمى فذبت بـهـا ... وكـذا يـذوب التـبـر فى الجـمـر

لـو أنـهـــا تـدرى إذن لغـدت ... بـردًا عـليـكِ لـو أنـهـا تـدرى

كـيف استحرَّت فيـكِ سالبـةً ... منـا جـمـيعَ صـفـاتِـك الغـر

لـم يدفـع الحـمى صبـاكِ ولا ... طـبٌّ تنـاول منتـهـى الفـكـر

والطبُّ مـن حـيل الحـيـاة فـان ... حُـمَّ القـضـاءُ قـضى عـلى الأمـر

مـاذا استفـدتِ من الحـيـاة ومـا ... خَـلُصَـت بغـيـر السـقم والضـر

قـلَّت لـكِ العـبـراتُ جـاريـةً ... لـو دونـهـا أرواحـنـا تجـرى

كنـت السـمـاءَ وكلٌّ زخـرفـهـا ... فـاليـوم قـد طـويت بلا نـشـر

يا روضة مضت السَّمومُ بها ... فتحولت منها إلى قفر

مالت غصونُ الروض جازعةً ... من هول مصرع غصنك النضر

وتذابلت زهرُ الرياض على ... أنفاس ذابلةٍ من الزهر

أنتِ الحياةُ قضت بلا أملٍ ... أنت الشبابُ مضى بلا وزْر

من كان أبهجَ منك حافلةً ... ما بيننا بالأنس والبشر

من كان أعقلَ منك ناظرةً ... نظر الحكيم لمبهم العمر

من كان أسنى منك طالعةً ... يزرى سناك بطلعة الفجر

من كان أطيب منك مخلصةً ... قلبًا طبعت به على الطهر

من كان أنقى منك ضاحكةً ... للعيش في سرٍّ وفي جهر

إن الوجيعة فيكِ قد عظمت ... لما أتت ذنبًا بلا عذر

لسنا نريد الصبر عنك وما ... كنا لنطمع منه بالأجر

اللَّهَ فينا حين رحتِ ولم ... تبقى لنا شيئًا سوى الذكر

١١ أغسطس سنة ١٩١٨

* * *

وقفةٌ على قَبْر

إلى مينرڤا

إني وقفتُ عليه أنظر خاشعًا ... متذكرًا حسنًا به مدفونا
ومباسمًا ضمن الترابُ جمودَها ... فيه فصارت لؤلؤًا مكنونا
عَدَتِ البلى فزهت عليه أزاهرًا ... بيضاءَ أرسلها الحمامُ عيونا
ترنو إلى زوَّاره فتزيدهم ... فيما تذكرهم أسًى وشجونا
لهفي عليك لو أنهم نبشوا الثرى ... ورأوكِ ما عرفوكِ فيه يقينا
أمشى الفَناءُ على صباكِ به وهل ... تلك المحاسنُ في التراب بلينا
واللّه لم أملك فؤادى عندما ... أمسى جمالُك بالفناء رهينا
فرأيت عشبًا فوق قبرك نابتًا ... يقتات جسمك لينًا ليلينا
يزهو وقد غذَّتْهُ أكرم تربةٍ ... أجرت به ماءَ الحياة معينا
وَقَفَ الصليبُ مباركًا أرضًا حوت ... وجهًا بداجية الرموس مصونا
ووقفتُ أذهلنىَ المقامُ تهيبًا ... وكأن عقلى فيه صار جنونا
وألحَّ بى اليأس الملحُّ فأسبلت ... عيناى دمعًا في التراب سخينا
يا بنتُ يرحمك الإله فإنه ... مولاكِ أعلم بالعباد شئونا

٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٨

إغـــــراء

زودينا من حسن وجهك

« المتنبى »

يابا خـلاً بجـمـال عـينيـه عـلىَّ الـبـــخـلُ عـابْ
ومـــفـــاخِـراً أتـرابـه بمبـاسـم الشـغـر العـذاب
ومـغـيـر زهـر الـروض بالخـــدين أصـــلاً وانتســـاب
مـــا ضـرَّ لـو نـلـهـو ولـو يـومًـا كـمـا شاءَ الشـبـاب
ولمن تصـونُ الحسـنَ تـنزلـه ضـنـينًـا فـى حـــجـاب
هـبْ إنـك الدنـيـا وبهـجـتـهـا فـفـيـهـا العـيشُ طـاب
والشـمـسُ يسـقـى نـورهـا الأزهـارَ أصـنـاف الـشـراب
والبـدر يبـذل نفـســه لـلـيـل منجـردَ الإهـاب [1]
والفـجـر يكسـو الكونَ والآفـاقَ أنـواع الثـيـاب
والزهـر نقطفـه ونحـمـلـه كـــحـلـى أو مـــلاب

---

(١) أى عاريًا .

ونضـــمـه ونـشـــمـــه فكـأنــه رود كـــعـــاب

ونــرى مـن الأطيـــار مـــا إن هجـتـَـهُ نغـمـًـا أجـاب

آيـــاتُ ربــك كـلـهـــا فى الحــسن أُنزلـهـا ثـواب

كـقـَّارةً عـمـا نـلاقى فى الحـيـاة مـن العـذاب

والعـمـر بغـيُ الفـاهـمـيـهِ والحـيـاةُ لهـم عـقـاب

لما تمـادى ذنـبـهـا جـاء الجـمـال لهـا مـتـاب

فـعـلـى م تـذخـره وهـل فـي صـونـه نـفـعٌ يُـصـاب

الحـسـن وهو من الـتـراب غـداً يـصـيـر إلـى الـتـراب

١٠ يناير سنة ١٩١٩

* * *

الأربةُ الرَّمادية

أهديتِ لي أربةً لون الرماد بها ... مثل الأزاهر في قدٍ وفي ورقِ [1]

ضمختها بعبيرٍ خلتُ أن به ... للزهر روحًا سرى في ذلك العبق

هذا الحريرُ يحاكي في تخطُّفه ... سوانح الفكر بين النوم والأرق

كأن شمس خريفٍ غادرت شفقًا ... وغودرت قطعةً في ذلك الشفق

أو النسيم على نول الغروب بها ... حاكَ الكهولةَ غزَّالاً على الأفق

أو روضة الحَزْنِ يوم الدجن جلَّلها ... تراكبُ السحب في لون وفي نسق [2]

أو ظل دوحٍ على ماءِ الغدير غدا ... من النواسم في وجد وفي قلق

أهديتها لي لذكرى لا تزول وقد ... أنزلتُها منزل الأنوار في الحدق

حلَّيتُ صدري بها والنفسُ حاليةٌ ... بما تضمنها عيناكِ من عشق

وإنما العمر إدلاجٌ إلى غرضٍ ... كأنما إنا أمشي منه في نفق [3]

---

(١) الأُربة : العقدة وقد أطلقوا هذه اللفظة على « الكرافات » .

(٢) الحَزن بفتح الحاء : السهل ، والدجن : إظلال الغيم والندى .

(٣) الإدلاج : السير من أول الليل ، والنفق : حفير في الأرض له مخرج إلى مكان .

وأنت كوكب هذا العمر هاديةٌ	في البر والبحر دون التيه والغرق
أَمددتنى بشعاعٍ جاءَ مخترقًا	حجب الغيوب فوافى غير مخترق
أحللتُه الصدر مرتاحًا فأسكرنى	حبًّا رضيتُ بأنى منه لم أفق
والحبُّ كلٌّ شباب القلب مختصرٌ	في نظرة منك للشاوى على الحرق
عيناكِ كأسا شراب الخلد نورهما	سر العواطف من موت الغرام يقى
همـا زمردتا فجرٍ ولؤلؤتا	بحرٍ ونجما سماءٍ جاليًا الغسق
وإنما أنا أهوى مقلتيكِ على	حالات قلبى من رشدٍ ومن نزق
والعهد ما بين قلبى واللحاظَ على	أن لا تخلى به شيئًا من الرمق
واليوم أحكمت هذا العهد جاعلةً	ميثاقه أربة نيطت إلى عنقى

١٥ يناير سنة ١٩١٩

* * *

السَّكران

عار عليك أنت التى بدأت فعلمتنى الخيانة
دى موسيه

واصلِ اللهوَ فالزمانُ مؤاتِ واطَّرح ذكر كل ما هو آتِ
ذاك سرُّ الغد الذى خبأته مبهمات الأيام فى المبهمات
واسقنيها صفراءَ مثل شعاع الشمس تحيى فى النفس كلَّ مَوات
تبعث السعد من مظنّاته فى الـ غيبِ حتى يصير فى الممكنات
وهى توحى إلى الجنان ليزداد اتساعًا فى فهم معنى الحياة
صففت فى الكؤوس فاختطفت ألحاظَنا بالأشعة الخاطفات
وتبدَّت كؤُوسُها كنجومٍ فى سماءِ الخوان منتثرات
هاتها تنجلى عروسًا فإنى كلفٌ بالأعراس والجلوات
نحن فى روضةٍ وهذا ربيعٌ حافل بالعبير والنسمات
فانظر الأرض والسماءَ فكم بينهما للنهى من الآيات
رقَّ وجه السماء حتى اجتلينا معجزاتِ السماءِ فى مرآة
وبدا الأفقُ مائجًا بضياءٍ أرسلته لواحظُ الآلهات
خطرت شمسه تجر ذيول النور فيه كخطرة الملكات
وقفَتْ ساعةُ الأصيل تحيينا بنشر الشقيق والوردات

فهي لليوم كالربيع من العام يكونان أطيب الأوقات

انظر الروض كل غصن لديه زهرةٌ كالفتى بقرب الفتاة

قد سقى النورُ كلَّ زهرٍ هناءً إنما النور خمرةُ الزهرات

فلذا مال كلُّ غصنٍ هيامًا لاعبًا في النواسم اللاعبات

* * *

اسقنيها مثل الضياءِ لأجلو عن فؤادي الهموم كالظلمات

إنني ضاحك وقلبي باكٍ ودموعي قد مازجت ضحكاتي

إن وقت الأصيل يبعث بالذكرى شجونًا ثقيلة الوطئات

* * *

لبست هذه الرياضُ ثيابًا جُدُدًا في ألوانها زاهيات

جددتِ زيَّها وفي كل فصلٍ جِدَّةٌ في الأزياءِ للغانيات

إنما هذه الطبيعةُ أنثى قد حوت في الغرام كل السِّمات

تتحلَّى بكل وشيٍ من النبت كوشي الزخارف المتقنات

تتهادى في كل ثوبٍ من الحسن فريدٍ في هذه الأشتات

كل جزءٍ بشكله صار كلاً كاملاً في المحاسن الكاملات

كل معنًى فيه بهيجٌ كأحلام الليالي البواسم السافرات

تَبْذُل الماءَ لارتشافٍ كما يُبْذَل ثغرُ الملاح للرشفات

ضَرَّجَ الحسنُ خدها فدعانا لشميم التفاح في الوجنات

ضمها النورُ في فراشٍ من العشب لذيذ العناق والقبلات
فأثارت كوامن الوجد في النفس وهاجت مطارح اللذات

* * *

اسقنيها وغنّني فحميا الكأس تتميمُ موقع النغمات
غنني الشّعر واسقني الخمر واعذر نزعاتِ الجنون في نزعاتي
إن في الشعر رنةً تبعتها راحةٌ تنتهي إلى القافيات
إن في الخمر سورةً تخمد اليأ س وتنسى المصائبَ الصائبات
رب يأسٍ ألمّ بي لأمورٍ ضاق صدري بها وطالت شكاتي
من شقاءٍ وعثرة وغرامٍ وسقامٍ وغربة وشتات
داوني بالنسيان والخمر والشعر وسكّنْ جوانحي الثائرات
فالأماني صرعى مشيتُ عليها فكأني مشيتُ فوق رفات
ليتني قد فقدتُ حسّي فما تو جعني كل هذه الموجعات
ليتني قد وجدت عقلي فما ار تاع من كل هذه الحادثات
ليتني ليتني بعيد عن الناس أنيس الوحوش في الفلوات
هاتها إنها ابنةُ النور باللو ن وأمُّ الظلام بالفعلات
بهجةُ العين حرقةُ القلب فيها كل ما شئتَ من منًى وأذاة
هي روحٌ بنفسه مستقلٌّ عن قيود الأجسام قام بذات
وهبَتْها ملائكُ اللّه النا س فكانت منهم أجلَّ الهبات

فهي تروى عن السماءِ حديثًا كحديث العيون بالنظرات
تتلقاه كلُّ نفسٍ بما يطبع فيها الزمان من حالات

* * *

فُضِحَ السرُّ يا نديمِي فاملأْ كأس خمر وسمّ هندًا وهات
واسقنيها على اسم هندٍ كما يُبدأُ باسم الإله في الصلوات
زحفَ الليلُ بالغروب على الكون كزحف الجيوش بالرايات
ليت هندٌ هنا إذًا لرأيتَ الشمس في الليل في أتم صفات
آه يا هند أنتِ معني وجودي ولعينيكِ قد كرهتُ حياتي
قاطعيني كما تريدين إني بك صبٌّ حُشرتُ بين الغواة
وتناسَيْ حبي ولا تذكريني وتمني على الزمان مماتي
فأنا حافظٌ عهود فؤادي ومطيلٌ على الشقاءِ أناتي
كلُّ حبٍّ يزول في يومه إن لم يكُ ابنَ العواطف الخالدات
ابحثي في دمي فحبك فيه راسخٌ كالقواعد الراسخات
ثابتٌ كالجبال في الأرض لا يقوى عليها الزمانُ بالعاصفات

* * *

كل يوم حوادثٌ تفعم الصدر وقولٌ يدور بين الوشاة
ودعاءٌ إلى التنابذ والبغضاءِ والكيد قام بين السعاة
كل ذنبي يا هند كثرة عشقي لكِ والعاشقون غير الجناة

عشراتُ السنين مرت على حبى فـواهًا لهن من عشرات

لم أخن مرةً ولم أُلفَ يومًا غافلَ القلب فاتر العزمات

بل جعلتُ الغرام حلية نفسى مثل قطر الصباح فوق النبات

مُنزلاً ذلك الغرام من النفس نزول الأنوار فى الحدقات

نابذًا فى الحياة ما ليس حبًّا واسعَ الصدر صادقَ النيات

معطيًا ما ملكت قولاً وفعلاً وفؤادى فى أول الأعطيات (١)

ناسيًا أن لى شبابًا أضحى فيه حُبَّ الهوى بغير تقاة (٢)

لم أعوِّد فمى فيلفظ غير اسمك حتى اشتهرتُ بين اللدات

مغفلاً كلَّ من يحدثنى عن غير حبى أعدُّه من عداتى

جاعلاً ذلك الغرام أمام اللّه والناس واضحًا كالاضاة (٣)

عاقلاً لم يُضَرْ بحمق وطيشٍ طاهرًا لم يشب بأدنى الهنات

كل هذا نسيته وتباعدت فماذا جرى من الآفات

ودِّعينى على الأقل وأبقى لى هذا العزاءَ فى خلواتى

إن أشاع الرواةُ عنى كلامًا كذّبى كذّبى كلامَ الرواة

كلماتُ البهتان تبدو جليًّا إن كل الجحيم فى كلمات

---

(١) تصغير عطاء عطى وجمعها أعطيته وجمع الجمع أعطيات .

(٢) أى إيثارًا للحب بلا مبالاة .

(٣) المرآة .

راجـعـيـنـي بلفظـةٍ وأعـيـرى　　كلٌ مـاضيً فـيك بعض التـفـات

لـم أكـن آفـن المـدارك حـتـى　　تـنبـذيني يا هـنـد نبـذ الـنـواة [1]

* * *

أنا سـكرانُ فـاعـذروا هـذيـاني　　ودعـونـي ألـجُّ فـي سـكـراتـي

أنـا في روعـةٍ فـهـاتـوا أمـانًـا　　أنـا أبـكـي فـكـفـكـفـوا عـبـراتـي

إن مـا بـيـن أضـلـعي جـمـرات　　أطـفـئـوا نـار هـذه الجـمـرات

* * *

إيـه ردى إلىَّ عـمـرى فـهـذى　　شـمس عـمـرى قد آذنت بفـوات

وأعـيـرى إن لم تـردى ولـو بعـض ثـوانٍ أقـضـى بـهـا حـاجـاتي

يا ظـلام العـصـور أين شـبـابى　　أين عـزمي وصـحـتي وثبـاتي

أى ذنـبٍ جنـيـتُ حـتي دهـاني　　قَـدَرٌ قـد جـرى على مـيـقـات

لـيس عـهـدى أني جنـيـت ذنـوبًا　　أن عـهـدى تـوافـر الحـسـنات

سـلبـتـني الأحـداثُ حـالي ومـالي　　وأطـالت عـلى الـهـوى حـسـراتي

أيـن هـنـدٌ وهـل أرادت لـي الأو　　جـاعَ هنـدٌ وهل أنا في سـبـات

أى شيءٍ أرى أمـامي ؟ لا ... لا ...　　إنمـا أنـتَ سـاكـبُ الـكـاسـات

وقف الليـلُ يمـلأُ القلب خـوفًـا　　بالخـيـالات من جـمـيـع الجـهـات

---

(١) أفن الرجل : ضعف رأيه .

يا نجوم السماء أهلاً وسهلاً بالحسان الفواتن الطاهرات

يا عيون الدجى أطلى على الكون ومدى لحاظك الباهرات

نحن في الأرض حائرون فما بالك في ظلمة الدجى حائرات

أنا ضيَّعتُ كلَّ شيءٍ فهل عندك علمٌ ببعض مفقوداتي

أنتِ من فوق للأنام سلامٌ نيِّرٌ في وجوهك النيِّرات

طالعيها وعاتبيها فهندٌ لك أختٌ باللحظ والبسماتِ

* * *

أَسكِروني ما شاءَ يأسي وحبي أَوَلستم بين الأنام ثقاتي

واكتموا ما أذعته بلسان الخمر عنها وفرِّجوا أَزَماتي

إيه يا هند والزمان طويلٌ بيننا والأيام خير قضاة

سوف يبدو لك الصريحُ ويبقى لك جرم الخواتل الجارمات

اذهبي إنني سئمتُكِ وامضي في طريقٍ قامت بغير هداة

اسرحي وامرحي فإني مشغولٌ أُداوي جراحي الداميات

لا تُنَهْنِك أدمعي إنها راحت من الغيظ لا الهوى جاريات

واتركي كُلَّ ما يوافيكِ عنِّي وَدَعِي فَهمَ هذه الزفرات

لغةُ النفس كلها فسدت عندي ولِلْهجرُ مفسدٌ للغات

* * *

أبلغوها قطيعتي وسلامًا طيبًا كالنواسم الطيبات

ولتدم في حماية اللَّه ولتنس الذي خلَّفته في الشقوات

* * *

أَضجعوني على الثرى وافرشوه بالحصى واذهبوا على البركات

ودَعوني لكي أنامَ ويا للَّه مما تعيد لي يقظاتي

. . . .

إبريل سنة ١٩١٩

* * *

العَهْدُ

لقد سرنى أنى خطرت ببالك
ابن الدمينة

حفظتُ لكِ العهدَ القديم لأننى ... أرى أن شر الناس من ينقض العهدا

وآثرتُ أن أبقى شقيًّا مخيبًا ... على أن أطيع الكيد والغيظ والحقدا

ولو أننى عددتُ كل مساءَةٍ ... بها نلتِنى ضاق الزمان بها عدّا

أأذكر إغفالى احتقاراً ونَبْذَتى ... بعيداً كأنى لم أكن أطلب البعدا

وإيغار صدرى بالسعايات بيننا ... كما يلقم النيرانَ موقدُها وقدا

وإبداءَ ما أبديته مشمئزةً ... لدى صاحب لى لا أعاد ولا أبدا

وصحبةَ غيرى تستثيرين غيرتى ... وقصدَك إذلالى وسؤْتِ به قصدا

ومظهرَ إدلالٍ علىَّ وريبةٍ ... بطاهر ما أخفى فؤادى وما أبدى

ألا إنى بالرغم منك منزَّهٌ ... عن اللؤم... واستوفيته لى فما أجدى

وبالرغم منى صابر لا ينالنى ... أذاكِ ... وصبرى عنك أفقدك الرشدا

لى اللّه من قلب به البؤسُ ساكن ... كما سكن الليلُ الخرائبَ مسودا

وإنى لراضٍ بالذى أنا واجدٌ ... أصد بصمتى كل نازلة صدا

سأنسى عذابًا كان حبك أصله وسيان عفواً كان ذلك أم عمدا

وأُقسم إني قد وجدتُ وإنما أرى أنني ما عدتُ مستشعراً وجدا

لقد فعلت بي الحادثاتُ فعالها فصرت على تكرارها صابراً جلدا

صحبت زماني فيكِ يا هند مرةً فكان نصيبي منكما اليأسَ والزهدا

لكنتُ على عزمي وحزمي لو أنها خيانة من أهواه لم تفرط العقدا

فكيف أرجي العيش يا هند بعدها ودهري يريني كلَّ غانية هندا

مايو سنة ١٩١٩

* * *

شجون

إلى الأخ الحميم ج . د

هذى الشجون نظمتها · بين الوساوس والشجونْ
وبذلتُ فيها من دمى · الغالى ومن دمعى المصون
آيات حزن نظَّمَتْهَا · الجاريات من الشئون
نزعات يأس كلهنَّ · كأنهنَّ من الجنون
بدهات أفكار لما · قد كان أو ما قد يكون

* * *

وإليكَ أهديها كما · يشكو الخدينُ إلى الخدين
أنت الصفيُّ كأنما · قطِّرتَ من ماءٍ معين
أنت العليم بما ينا · وبنى به الداءُ الدفين
أنت الذى اختار الفؤا · دُ لنفسه فى العالمين
وأنا وإياك الظليلُ · وظله فى كل حين
هذى الشجون بكل ما · فيها من الدمع السخين

جـــاءتك تعـلـم أن فـــيـــك		لـهـا عـــزاءَ البـــائـســيـــن

فـــاحـرص عـلـيـــهـا أنـهـا		قِـطَـعٌ مـن القـلـب الحـزيـن

واعـــذر أخـــاك وكـــن لـــه		فـى الـنـاس خـيـر أخٍ أمـيـن

* * *

القصيدة

أنا وحدى والساعة تدق ! يا للعزلة يا للفقر !
دى موسيه

محالٌ لعمر اللّه هذا التندمُ ... وزورٌ شكاتى والأسى والتظلمُ
وما بى داءٌ أشتكيه ولا أذًى ... رميتُ به أو ما يمضٌ ويؤلم
تمر بى الساعاتُ شتى سريعةً ... أباشر أعمالى بها وأتمم
ولا همَّ إلا واجب العمر ينقضى ... كما ينقضى داءٌ يداوَى فيحسم
فأغنم فى الدنيا حياتى وأنها ... بها للفؤاد الخالص السر مغنم
أنال بحمد اللّه وفراً ومتعةً ... وليس على غيرى بما نلت مغرم
كفيتُ الورى شرى ولا شرَّ لى وما ... جميع الورى إلا الذين هم هم
وما قالتى شكوى ولا فخر إنما ... على ما أنا يدمى فؤادى ويكلم
أُقلب طيِّاتِ الحياة مفتشًا ... على فعلةٍ يومًا بها المرءُ يوصم
فأغدو بقلب يعلم اللّه طاهر ... ونفس على علاَّتها تتردم (١)

(١) تردم ثوبه رقَّعه والمعنى : نفس تسوى شئونها بنفسها .

لقد درتُ دوراتِ الحياة جميعها وطالعتُ فيها ما يضيء ويظلم

فألفيتها حربًا لَزامًا وإنما بها يغنم الأسلاب من يتقحم

فزوَّدتُ نفسي «واعتزلت» غمارها أُراقب عن بُعد لظاها فأسلم

وإني لمستغن عن الناس عائشٌ بنفسي حرٍّ سادرًا أتنعم (١)

كأني طير في الخمائل راتع يروح ويغدو شاديًا يترنم

وعمري غديرٌ قد جرى متموجًا حوادثهُ حصباؤه تتبسم

يقبِّلُ ثغرَ الشمس وهو أشعةٌ ويغسل فيه الوجهَ بدرٌ وأنجم

إذا روَّع الليلُ الرياض يزوره نسيم الصبا يأتي عليه يسلم

فيؤنسه بالنفح والطيب ممليًا عليه حديثَ الزهر وهو مرجم (٢)

ويروي له قاله الغصن مائلاً وما قاله عشب الرياض المنمنم (٣)

ويفهمه سرَّ السماءِ وإن يكن يحجبها هذا الظلام المخيم

لغاتٌ يهز الدوحَ حسنُ بيانها فليست إلى أخرى سواها تترجم

* * *

ولكنني أبلت شعوري عزلتي فها أنذا كالعود يذوي فيحطم

أيا عزلتي انضبتِ ماءَ شبيبتي فصرتُ على مهلي أشيب وأهرم

---

(١) السادر الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٢) لا يوقف على حقيقته . (٣) المزخرف .

ولا عمل إلا دواةٌ ومكتبٌ … فأنثر ما بي من شقاءٍ وأنظم

واقتل كتبي قارئًا وكأنما … تحوّطني منها خميس عرمرم

أقلّب فيها أوجه الدهر باحثًا … فتعرب عن أسرارها لي وتعجم

وتفني حياتي لذةً وفكاهةً … وأفنى الليالي جاهلاً أتعلم

أرى بينها الأجيال شتى وجوهها … فمبتهج هذا وذا متجهم [1]

يمرون أرسالاً [2] كأن صفوفهم … نمال على وكرٍ ترد وتزحم

منابر والأفكار فيها نواطق … مناهل والمورود أرْيٌ [3] وعلقم

أسافر فيها كل يوم وطيّتي [4] … مرامي فناءٍ تستحيل وتبهم

أضحّي بقلبي فوق مذبحها وما … صحائفها إلا لظًى يتضرم

واخرج صفر الكفّ منها بحسرة … أُسيغ شجاها كل يوم وأكظم [5]

فيا كتبي مالي ومالك إنني … رضيت عمى قلبي ونورك أسحم

هجرتك فامضي في سبيلك وادرجي … إلى حيث يفنيك الغبار المهوم

ويطلع جيش العث فوقك غازيًا … فيثأر لي مما جنيتِ وينقم

* * *

---

(١) غليظ سمج .

(٢) جمع رسل بفتح الراء والسين وهو القطيع من كل شيء .

(٣) عسل .

(٤) النية والضمير ، والمعنى أن الغاية المقصودة في السفر هي مرامي هذا الفناء ، قال ابن هانى الأندلسي : « وودعونا لطيات عبابيد » أي إلى غايات بعيدة .

(٥) الشجا : ما ينشب في الحلْق من عظم وغيره ، وكظم غيظه : اجترعه .

لحى اللّه من باع الضمير بدرهمٍ وأثمنْ ممنا باع في القدر درهم

وما عِرْضُ نفس المرءِ إلاّ ضميرُها إذا كان عرضُ الجسم ما أنت تعلم

فافهم عرض الجسم يُبذلُ واصلاً إلى غرضٍ محسوسه متجسم

ولكن عرض النفس يبذل ضائعًا فذلك بين الناس ما لستُ أفهم

* * *

ظلمتُ حياتي بالصيانة والحجى ولي بالذي جرّت حياتي أظلَم

أمنعًا وتعذيبًا وجهداً وحيرةً حنانيك ربي إن صدري مفعم

وإني قطعتُ الشوط إلا أقله وأقطعه سيان أرضى وأرغم

عزاءُ فؤادي أن للعمر منتهى ولا رجعةٌ منها أخاف وأوجم

* * *

على أنني أحببتُ في العمر مرةً رجوتُ بها تحقيقَ ما كنت أحلم

فكنت أرى الآفاق تضحك بهجة فاستنزل الإلهام منها فأُلهم

وأشعر بالعزم الأكيد يضمه فؤاد على لذاته يتألم

لعوبًا بأسرار الوجود كأنما يطلٌّ عليها ناظري المتوسم

إذا ابتسمت سلمى ففجرٌ منوّرٌ وإن عبست فالليل أعكر أهيم (١)

ولكنها ملّت سريعًا لضعفها وما الحب إلا قوةٌ وتعظم

فلما عرفتُ الضعف فيها وأنها تخالف في نطقيهما القلب والفم

---

(١) أي شديد السواد .

عملت على الهجر الجميل لأنه غدا وهو أمرٌ بيننا متحتم
كذلك قد جربّت نفسي في الهوى فأُبتُ بجرح لا يداويه مرهم
وضيعتُ قلبي في الغرام فها أنا أَعيش بلا قلبٍ وأُسقى وأُطعَم

* * *

أرى العقلَ في الدنيا حديثًا لأنه أتى ليزيلَ الجهل فالجهل أقدم
وكلٌّ قديم كان ذا أوَّليةٍ تفضله فهو العزيز المكرم
لذاك ترى أن الجهالة في الورى أحبُّ من العقل الصحيح إليهم

* * *

إذا أنت أسلمت الفؤاد زمامه يقودك وهو الآمر المتحكم
ويبني لك الآمال غير محقق وكل بناءٍ بالعواطف يُهدم
فتدخل في الدنيا سعيداً مهنّأً وتخرج طفلاً يُستضام ويُفطم
. . . .

* * *

إلى كم أُسلّي بالرجاء يزيله قضاءٌ على كل البرية مبرم
وتعبس في وجهي النجومُ وأنها إلى كل رانٍ في الدجى تتبسم
ويندكُّ صرح العمر عند ارتفاعه وكان على الأيام يعلو ويدعم
. . . .
. . . .

قنعتُ من الدنيا بخلٍ ودادهِ صميم به يجرى ويمتزج الدم

غدا سلوتى إذ لم أجد لى سلوةً وغنمى الذى أصبحت فى العمر أغنم

رضيتُ به حصنًا على الدهر قائمًا وإنى له حصنٌ على الدهر أقوم

هو الرزق من ربٍّ كفيلٍ وأنها من اللّه أرزاق على الخَلْق تُقسم

يونيو سنة ١٩١٩

* * *

التَّعويذة

يا هند ما ارتاب فيك القلب حين رأى … إن العواذل لم تفهم معانيكِ
لو أنهم أبصروا النور الذى فتنت … عيناك قلبى به كانوا أحبوكِ
إذن لحزَّت بصدرى غيرةٌ ذهبت … بها حياتى شقاءً منهم فيك
فالحمد للّه إذ ضلُّوا السبيل وإذ … آبوا برأى كما تدرين مأفوك (١)
وما لنا ولهم إمَّا هذوا وهذوا … فنحن نضحك من هذى الأضاحيك
ولن يعاب جمال ليس تفهمه … بين الورى زمر الأغمار والنوك (٢)
الحسنُ يفهمه قلبٌ يذوب هوًى … يأتى به كل تسكين وتحريك
لا من تراءى بمرأى سيدٍ وله … فى كل حالة دنيا قلبُ صعلوك
دعيهم وهلمّى اسقى فؤادى من … جمال عينيك نوراً وهو يسقيك
ومتعينى بمشهودٍ ومحتجبٍ … وارشفينى برد العيش من فيك
ولا تبالى بما قالوا وما فعلوا … فلن تؤخر فجراً صيحةُ الديك

* * *

(١) مكذوب .

(٢) الحمق .

أنا أهواكِ كـمـا يهـوى الظـلامُ زَهْـرَهُ
وهى فـيك الحسن قـد أبدى النظامُ نـشره
فـجلا الوجـه كـمـا يجـلو التـمـامُ بـدرهُ

* * *

ألثـمـينى الخـد جـمـراً قـد تحلَّى وردُهُ
وأنيـلـينى ثـغـراً يتـمـلاً بَـردهُ
وأعـيـدى لـى وصـلاً قـد تـولَّى عـهدهُ

* * *

أنا مـن قـد تيَّمـتـه فى الورى بسمةٌ
وأنا فى الحب لى لن تُسـتـرا شيمةٌ
لست أشـكو إنهـا فـيـمـا أرى قسمةٌ

* * *

فـارحـمى يرحـمـكِ اللّه فـمـا أعـهدُ
بك بخـلاً وغـرامى مـثـلمـا تشـهدُ
لى عـيناكِ وسـعـدى فـيـهـمـا أرصـدُ

* * *

قـد يجنُّ المرءُ لكن بعـد حـيـنْ يعـقلُ
وهو يدرى مـا الذى رغم الجنـونْ يفـعلُ

وبذا عنه أحاديث شجونْ تنقلُ

* * *

حُرستِ من أعين الحساد أنهم بكل عين حسود قد أصابوك

يفديك عمرى لكن لا أراه يفى ببعض حسنك عمرى وهو يفديك

فلا تخافى فذا قلبى أُصيِّره تعويذةً علقيها وهى تحميك

ولا تبالى بما قال العواذلُ إذ عواذلى فيكِ لم تفهم معانيك

يولية سنة ١٩١٩

* * *

المكرَّمة

عتابكِ لا يصافينا لأنَّا — تقاطعنا بلا أمل الرجوعِ

وكنتِ صبرتِ كلَّ الصبر عني — بلا أسف ولا ذكر مذيع

لقد صرعتني الأحداثُ لكن — رأيتكِ لم تبالي بالصريع

وقلبكِ صار أمنع من عقاب — فقلبي صار كالحصن المنيع

أضعتكِ .. لا .. فأنتِ أضعتِني إذ — أنا البادي قياماً بالقنوع

على أني أسفتُ عليكِ لما — بلوتُ حقيقة الهجر الفظيع

ودمتِ على ضلالك لم تُبالي. — تظنيني خليقًا بالخضوع

لكنتُ خضعتُ لو أبديتِ شيئًا — يقال له مبادأة الصنيع

أَبَتْ لك كبرياؤك غير ذلي — وإني ما طبعتُ على الركوع

وكنتُ بعين نفسي فيك كفؤاً — لنفسكِ ربة القدر الرفيع

ولا فخرٌ لأنك كنتِ مني — بمنزلة الفؤاد من الضلوع

حببتكِ ملءَ أحلامي المواضي — وملءَ شبابي الفاني السريع

فأسَّفني الشبابُ وقد تولى — كما ذبلت أزاهيرُ الربيع

وخلَّى غُصةً في الهجر لجَّت — مضايقةً على صدري الوسيع

فأطفأت الليالي عاطفاتي ... وأحلامي كإطفاءِ الشموع
وأرضعتِ الفؤاد أسى ويأسًا ... فصار أقل من طفل رضيع
تعوَّد أن ينام ولا رجاءٌ ... بأن يلقاك في غده الرجيع
يباشر عيشه غُفُلاً ويمشي ... على الأيام بالصمت المروع
أضاحكه بلا سببٍ فيبكي ... وأبكيه فيضحك كالخليع
يَرى الدنيا ويسمع وهو بادٍ ... شتيتًا غير راءٍ أو سميع
ويشمس للورى طرفًا حرونًا ... ويهدأ هدأة الحمل الوديع (1)
فلازمه الشقاءُ بلا تشكٍّ ... ملازمة المضاجع للضجيع

. . . .

* * *

فلا يا هند ما هذي حياة ... ولا عوض عن العمر المضيع
وإني قد عصيتُ الحقد يغري ... عليكِ ورب عاصٍ كالمطيع
أأتبع انتقامًا منك يشقي ... حياتكِ في الزمان بلا شفيع
ولكن لا فأنتِ مع التجافي ... مكرمةٌ على رغم الجميع
سماحًا فاذهبي وحُبيتِ سعدًا ... كنور الشمس وهَّاج السطوع

٢ أغسطس سنة ١٩١٩

* * *

---

(١) شمس الفرس : منع ظهره ، والطرف بكسر الطاء : الكريم من الخيل ونعتوا به الذكور منها خاصة .

على شواطئ الإسكندرية

أشـــواطئَ الإسكندرية طيبٌ فيك المصيف لعاشق ولهانِ
هجر البيوتَ إليك محرقة اللظى إذ شُبَّ فيها القيظُ كالنيران
وأتاكِ يحمل حبه وغرامه متقيلاً في ظلك الفينان
يا مربعي دون المرابعِ إنني دونَ المرابع وإلهُ بك عاني
أنْسَيْتَني وطني البعيد وإنما هو أولٌ عندي وأنت الثاني
لكنما فيك الحبيبُ وإنني وطنُ الحبيب أحب من أوطاني
كم جلسةٍ لي فيك وحدي شاكيًا كشكاية الإخوان للإخوان
أبكي بكاءَ الطفل حتى ينتهي دمع به يتقرَّحُ الجفنان
جهد الحزين عيونه الشكرى فإن نضبت فتلك نهاية الأحزان
والصبر أجمل ما استفاد القلبُ إن نشط القضاءُ إليه بالحدثان
لكنه ماذا يفيد ودونه حقدُ القضاءِ وغضبة الأزمان

* * *

البحر مبسوط الأديم كأنه صدرٌ أليفُ مسرة وأمان
والريح ليّنة المهبّ لطيفة كتنهدات الموجع المرنان

والشمس تضرم في السماءِ مجامراً	هذى الغيوم لهن مثل دخان
بعثت إلى لجج البحار أشعةً	صيَّرنها لججًا من العقيان
اللانهاية في بعيد سمائها	واللانهاية فى القريب الداني
بحران من جلَدٍ ومن ماءٍ وفي	الأفق القصيِّ تمارج البحران

* * *

العين يأخذها الجلالُ كأنها	شهدت عبوطَ هدًى ووحيَ جنان
يا بحر والأمواج فيك تدفّعت	قلبى كهمِّك دائم الخفقان
وأساك مثل أساى لجٌّ وإنما	صدرى وصدرك بالأسى رحبان

* * *

هذى شواطئك الطويلةُ إنها	مسرى الغرام ومسرح الغزلان
نصبوا بها خيم المصيف صفوفُها	متسلسلات مثل عقد جمان
نزعت بإحداها سعادُ ثيابها	فرأت تجلِّيَ حسنها العينان
وأتتكَ عاريةَ الإهاب وإنما	لبست بياض جمالها الفتان
ورمت إليك بنفسها وتلاعبت	في الماءِ بين الصحب والخلان
ما آن ثَمَّ ملاحةً وملوحةً	جُمِعَا ولم يتمازج الماءان
أنتَ السماء قريبة قد أطلعت	نجم الوجوه على مياهك رآني
أنتَ الرياض جنيَّة قد أبدعت	زهراً مغيراً زهر كل جنان
هذى طيورك إنها ثرثارة	ضحكًا ولعبًا فيك باطمئنان

الواقفات جسومهنّ هياكل صحت بهنّ عبادة الأوثان

والماشيات بطيئة ميّاسة أعطافهنّ نواعم الأبدان

والجالسات على الصخور زواهراً مثل الرياض قطوفهنّ دواني

شجر الحياة على الرمال ثمارهنّ أطايب التفاح والرمان

والسابحات رشيقة حركاتهنّ بديعة التصريف والإتقان

أنت الغنيُّ وقد حويت جواهراً فاقت كنوز الدر والمرجان

هذي عرائسك الجميلة إنها مشمولة بالحسن والإحسان

متلاعبات في مياهك مثلما لعبت حميًّا الكاس بالسكران

يخرجن منك مكللات لؤلؤاً كالزهر غِبَّ العارض الهتان

لكنهنّ عواطل من كل ما زان الجمال لأنهنّ غواني

وتضيء فيك سعاد شمسًا برجها قلبي وقلبك أننا إخوان

الشعر فيضُ أشعة ذهبيةٍ والجسم فيض النور واللمعان

نزلت ذكاء إلى المغيب فواجهت سعدى وقد يتواجه القمران

فإذا هما يتناظران وهذه شمس المساءِ تميل في الميزان

ذابت حياءً فاختفت من بعدما أرخت ستار الأفق أحمر قاني

ومضت سعاد كأنها مَلَكٌ مشى في الخلد بين الحور والولدان

* * *

يا مُنْيَتي ومَنِيَّتي ما ضرَّ لو ... سرنا كما يتساير الإلفان

متشابكَيْن أناملاً بأنامل ... متهاديَيْنِ كأننا ملكان

متساقيين غرامنا بلحاظنا ... متخاصرين كأننا غصنان

متناسيين العالمين وما بها ... والعالمون أحق بالنسيان

* * *

يا بحر قد جاءَ المساءُ مجرراً ... أذياله ينبثُّ في الأكوان

والناس يمشون الهوينا مثلما ... يتريَّثُ المتفرج المتواني

شيب وشبان وولد كلهم ... متباين الأزياء والألوان

والبشر ترسمه الحياة سعادةً ... في أوجُه الفتيات والفتيان

ويهزهم مرحُ الشبيبة مثلما ... هز النسيم نواعم الأغصان

يتنافر الصبيان بينهمُ كما ... تتنافر الأطيار في الأفنان

وُلْدٌ كنثر الدر ملء قلوبهم ... أَمْنُ السعيد وخفَّةُ الجذلان

لا رغبة لهم ولا أمنيةٌ ... إن الشقاءَ رغائب وأماني

لا هون عما في الحياة وإنما ... في اللهو كل سعادة الصبيان

. . . .

حتى إذا ما النجم أشرق باسمًا ... في الأفق ينظر نظرة الحيران

قفل الجميع إلى منازلهم ومن ... بعد اللقاءِ رموك بالهجران

* * *

يا بحر إن العمر همٌّ دائم   بتعارف وتباعد وتدانى
أنت الزمان وكل عمر قطرةٌ   هيهات تنقع غُلَّةَ الظمآن
والنفس مثل شواطئٍ ممتدة   روّادُهن عواطف الإنسان
والقلب لجنك السحيقة إنها   مرسى القرار ومنبع الطغيان
أما الحياة وأنت رمز وجودها   فلها إليك جواذب ومعانى
يا بحر زد وانقص فإنك مثلها   فانٍ ومثلك كل شيءٍ فانى

٣ و ٥ أغسطس سنة ١٩١٩

* * *

حيرةُ الغيُّور

إلى ن ...

وحقّ عينيكِ وما فيهما ... من غزل نور الأُفق الأزرقِ

وحاجبيك اختطّ قوسيهما ... نورُ يراع مظلمٍ مبرق

ومارنٍ [1] مبتدع شكله ... منسّم عطر الهوى المُنْشَقِ

ووجنتيكِ اشتفتّا حمرةَ التفاح في الوجه الصبوح النقي

وشعركِ المرفوع تاجًا كما ... ينعقد التاج على المفرق

ووجهكِ الطافح نورًا كما ... يطفح نورُ الشمس في المشرق

وجيدك المفرغ في قالبٍ ... للحسن لم يُعرفْ ولم يُسْبَق

وصدرك العاجيُّ قد زانه ... نهدان كنزُ الناظر المملق

وخصرك المعطوف لينًا كما ... يعطف لينًا غُصُنُ الزنبق

وردفك الرابي جلالاً به ... يتم حسن الغُصُنُ الأرشق

---

(١) ما لان من الأنف وفضل عن القصبة .

ولفتةِ الريم وما لطَّفت ... لها معاني حسنك المُطْلَق

أهواكِ حتى ليس لي مهجةٌ ... بها أوالي العيش أو أتقي

ولا بجسمي قطرةٌ من دمي ... لم تختمر حبًّا ولم تعشق

ولا أرى غيركِ في من أرى ... كأنما غيرك لم يخلق

يا فتنة العين التي سحرها ... لا رقيةٌ في الحب منه تقي

وبهجة العيش التي حسنها ... صفاءُ نور باسم مشرق

وشرعة الحب التي ماؤها ... منه حياتي في الهوى أستقي

وكوكب العمر الذي نوره ... يروي فؤادي الظامئ المُحْرَق

وروضة الإنس التي نشرها ... لغير نشر الحب لم يعبق

وراحة القلب التي بردها ... يسكب لي السعد الذي انتقي

ومنيةً للروح تحقيقها ... غاية عمري الضائع المُنْفَق

لم يبقَ مني غيرُ رسمٍ به ... دلَّ على ما راح ما قد بقي

أيَّ غمار الحب لم يقتحم ... لوائيَ العالي ولم يخفق

بل أيَّ ليل فيكِ لم أُحْيه ... بل أي قول ليَ لم يصدق

بل أي بؤس منك لم أحتمل ... بل أي سعيٍ فيكِ لم يخفق

كذاك قلبي في الهوى أنه ... فيه الرزايا كلها تلتقي

لغير ما ذنبٍ سوى أنه ... أسير حب ظافر مُوثِقِ

فلا تغالي في مجافاته ... وقد تحكَّمْتِ به فارفقي

وعـــامـليـــه بـالـــرضـى أنـــه يكفـيـــه من حـبـكِ مـا قـد لـقى
وإنـنـى مـا زلتُ عــــبـــداً وقـد خـبـرتِ إخــلاصى فـلا تعـــتـقى

* * *

. . . .

بى غـيـرة تُشـعـرُنى إنـهـــا مـوتُ فـؤادى الكـاظـم الـمُـحـنَقِ
كـأنمـا قـلـبى فـى بحـرهـا الـــغـريـقُ لـم يـنـجُ ولـم يغــرق
مـرارةٌ جـاريـةٌ فـى دمـى وغُـصَّـة فى صـدرى المطبـق
ونـزعـةٌ فى الـنـفـس وثَّـابـة إلى حـبـيـب لى لـم يشـتـق
فـقـدتُ عـزمى أنـه خـاننى ومـن سـوى الـغـيـرة لـم أفـرق
يـلـجُّ بـى الـيـأسُ ولـكـنـنى أثـوى ثـواءَ الـصـابـر المشـفـق
أروح بـالـبـؤس وأغـدو بـه وبـالمحـيـا الـعـابـس المطـرق
ولـستُ أشـكـو فـالـشـكـايات لا تـفـيـد غـيـر المزعـج المقـلـق

٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩

* * *

هنـــد

عــواطف هذا القلب مـخـتلفـاتٌ ... ولكنهـــا في الحب مـــؤتلفـات

إذا برزت شـتى المذاهب في الورى ... فليس لهـا يا هنـد فـيـك شتـات

يُوحِّـدُها الـوجـه الوضـيءُ كـــأنـه ... سنا الفـجـر منـه تهـرب الظلمـات

تبـــاين إلاَّ في الهـــوى الخـلقُ أنه ... عليـه نفـوسُ الخـلق مـتــفــقـات

ومـا هو إلا الشـمسُ والناس حـولـهـا ... أشـعـتـهـا في الكون منفـرعـات

* * *

إلا أن حـــبي روضـة مــســـتـقلَّـة ... مـعـاني الهـوى أزهارُها النضـرات

وأنَّ شـذاها مــــا أقـول عـواطفي ... وهنَّ المنى تسـرى بهـا النفـحـات

وتشرب من دمعي وتشرب من دمي ... فـتـروى بهـا الأغـصـانُ والأثـلات

وفي كل يوم زهـرةٌ وخـــمــيـلـةٌ ... فـحـتى مـتى لا تُعْقـدُ الثـمـرات

أشـادية تلك الطيــورُ سـعــادةً ... فـإن الأمـاني تلكم النغـمـات

بلى هتـفـت حـزنًا أثـار شجـونَـه ... جـــوًى لم تُـبَـرِّد نارَه عـــبـرات

وأقـتلُ مـا في الحزن أن يعصيَ البكا ... وتزدحمَ الأشـــجــانُ والزفـرات

بهـنـدٍ وحـبـيـهـا إذا الذكـر عـادني ... تكاد بقلبي تذهب الخـفـقـات

وكنا حفيلاً إنسُنا بتجاور ... ولهو به ساعاتنا بركات

إذا ما تواقفنا يسارق لحظُنا ... أحاديثَ حبٍّ كلها سرقات

ونلبث مذعورَيْنِ نحسب أننا ... ضللنا وأن العالمين هداة

وما الناس إلا مفسدون وكلما ... تولَّوا بأن يحيوا الصواب أماتوا

وكم موعدٍ وافيتُ يا هند وافيًا ... تنمُّ على حبي به الخطوات

تلاقينني ملءَ الجوانح لهفةً ... وتملأُ قلبَ الناظر اللهفات

وتنسينَ أن الناس ترقبنا لذا ... نمر فتًى تمشى إليه فتاة

نسير لهوينا غافِلَيْنِ وإنما ... تحلِّى أمانيَّ الصبى الغفلات

وكم شهدت تلك المسَالكُ حبنا ... وتلك القصور البيضُ والنزهات

وجارٍ من النيل المبارك ضاحكٌ ... تمد عليه ظلَّها (العربات)

تخفُّ لديه راكضاتٍ كأنه ... سرابٌ عليه تركض الظبيات

ونحن بإحداهنَّ طار فؤادُنا ... غرامًا وقد طارت بها العجلات

جرت فكأنَّا في الفضاءِ وهذه ... هي الأرضُ تجرى والهواءُ فلاة

وحبِّى دنيا أنتِ فيها سعيدةٌ ... وحبكِ لى دنيا بها حظوات

شكوتُ إليكِ البث وهو محبتى ... فأشكيتني كيما تزولَ شكاة

وادنيتِنى حتى اتَّحدنا صبابةً ... وذاب فؤادنا ولا شبهات

حديثٌ كنشر الروض غب سمائه ... وألفاظُكِ الأنداءُ منتثرات

إذا نظرت عيناكِ همتُ صبابةً ... فللَّه مما تفعل النظرات

وارشف من فيكِ الحياةَ وأنني تطيلُ حياتي هذه الرشفات

ويُثْنَى على كتفي ذراعُكِ ليِّنًا هو العاجُ لو لم تجرِ فيه حياة

يضرّج خديك الحياءُ طهارةً وتسحرني من ثغرك البسمات

تفوحين طيبًا نادر العرف منعشًا إذا عبثت في شَعركِ النسمات

فالثم ما استرخى عليَّ وانثني وبي من غوالي نشره سكرات

كذلك كنا - ثم نرجع والحشا به للتلاقي في غدٍ حسرات

. . . .

. . . .

طوى ذلك العهدَ الزمانُ وباغتت حوادثُ دنيا كلها نكبات

كأن لم يكن شيءٌ هناك وهكذا تبدد أَحلامَ الدجى اليقظات

أطاول أيامي لعلي أرى التي مضت وأناديها وفيَّ خُفَاتُ

أجيبي أَحقًّا لا تعودين وانظري فـفينا تمادت بعدك العثرات

ألا أحسني بل لا تسيئي وإنما أنلتِ وإن قلَّتْ لك الحسنات

أتمّي صنيعًا واغنمي أجره فقد مررتِ ولمَّا تنقض الرغبات

. . . .

محالٌ رجوع العمر بعد زواله وما حَيِيَتْ بعد الممات رفات

إلى م إلى م العيشُ والحب قد مضى وفيمَ وفيمَ البؤسُ والحسرات ؟

أكتوبر سنة ١٩١٩

* * *

ثوبُ المخمل

إلى ن ...

فديتكِ خاطرةً عندما | تمايل قدُّكِ غصنًا نضيرا
واقبل مرتديًا مخبملاً | فكان الحرير تردَّى حريرا
كأنك فى ظلمة قد أطلَّ | عليها محياكِ بدراً منيرا
وعيناك نجمان للسعد فى | سماءِ الجمال يفيضان نورا
يضم قوامَكِ هذا الرداءُ | هيامًا كما ضم كمٌّ عبيرا
ولله مما يضمُّ وإنى | بذلك قد صرتُ منه غيورا
إلا فاعذرى يأس صبٍ يغار | وخير الورى من يكون عذيرا
كأنَّ تموّج ذاك الحرير | سحر يضلل طرفًا بصيرا
وقد زانه ما به من بريقٍ | كما زانت البسماتُ الثغورا
وهيهات ذاك له إنما | غدا منكِ بعض السنى مستعيرا
ومهما تكاثف نسجًا فنورك | أزهى صفاءً وأجلى ظهورا
كما وهج الليلُ والبدر ثاوٍ | وراءَ الغمائم يأبى السفورا

* * *

تولّى الشتاءُ وهذا الربيع ... فالقيه يجلُ سناك طهورا

ويُبرِزُ جمالاً أقل معانيهِ ... يفتن وُلْداً ويفضح حورا

ويأخذُ باللب حتى يكاد ... الفؤادُ بحكم الهوى أن يطيرا

كذاك يفتح كمَّ الرياض ... إذا ما الربيع أتاه بشيرا

فينفح طيب الشذا وينوّرُ ... بين الغصون ويغرى الطيورا

وأنتِ الرياضُ وأنت الربيع ... وأنت الحياةُ منًى وسرورا

أزيليه واطويه حتى يصحَّ ... شماتى به فأكون شكورا

ولكنه بعد عام يعود ... سيرتَهُ وأعود غيورا

٥ أبريل سنة ١٩٢٠

* * *

عقدُ الكَهْرمان

حليت بالكهرمان الصدر لابسةً ... عقدًا تدلّى إلى النهدين وانعقدا

أغار حبّاته الألحاظ طامحةً ... إليكِ فهي لذا مصفرّةٌ أبدا

ما ضارها أنها غبراءُ شاحبةٌ ... وفضلها واضحٌ في عين من نقدا

وربَّ وجهٍ دميمٍ كان صاحبهُ ... شهمًا ووجهٍ جميل يستر الحسدا

ما أسعد العقد مرتاحًا إذا عبثت ... به يداك على صدرٍ به سعدا

تمشين مطرقةً آنًا فتقلقه ... خطاكِ مرسلةً في سيرها صَدًا

فلا ينى خافقًا من جده طربًا ... فإن وقفتِ تراءى هادئًا كمدا

له تلطُّفُ آسٍ في تلمسه ... نهديك محتشمًا في اللمس متئدا

نهداكِ رائعتا فنّ ونادرتا ... حسنٍ وكنزا حياةٍ للهوى وجدا

وآيتان من الأنوار أُنزلتا ... عليكِ والنور فوق الصدر قد جمدا

عليهما العقدُ مثل النجم غبّره ... جرمٌ يمدُّ إليه الليلَ مبتعدا

فظل يبرق لكن شاحبًا ومضى ... مطالبًا بتدانى نوره الأمدا

رمزُ القلوب التى أصحابُها عشقوا ... عينيك ثم مَضَوا لا يعرفون هدى

تعلَّقت بكِ لا تنفكُّ فهي كما ... ترين عاطفةٌ من قدك المَيدا

تبيّنى ذلك العقد العجيب ترى | قلبى فريدةَ هذا العقد منفردا
أحببكِ الحب صرفًا لا مزاج به | لكن جفاؤك ما أَبقى له جلدا
فمات حيًّا فلا حسٌّ ليؤلمَهُ | شيءٌ ويُمْتعَه إن غاب أو شهدا
لكنه حافظ عهداً ومدَّكرٌ | ودًّا فى كل يوم مستبيح ردى
ووارِدٌ شرعةً باليأس مترعةً | واليأس فى العمر يضنى الروح والجسدا
ولا يزال كهذا العقدِ مضطربًا | ووده مثل هذا العقدِ قد عقدا

أبريل سنة ١٩٢٠

* * *

بـــؤس

أمــــــا آن الـقـلـب أن يـهـدأ ... ولـلـدمـع فـى الـعـــيـن أن يُـرقـأ

ولـلـجـسـم فى الـعـمـر أن يـسـتـريـح ... ولـلـداءِ فـى الـصـدر أن يـبـرأ

ولـلـنـفـس فى الـوجـد أن تـسـتـقـرَّ ... ولـلـنـار فـى الـقـلـب أن تـطـفـأ

علـى م وفـــيـم عـذابٌ طـويـلٌ ... وعـــمـرٌ قـــصـيـرٌ لـه أنشئَا

مللتُ الزمـــانَ بما قـد حـبـانى ... ومـــا قـد أعـدَّ ومـا هـيَّــأ

أكـــاذيب لـكـنـهـــا تُـطـمِـعُ ... الـنـهـى وتـكـون لـهـا مـــرتـأى

ويـألفـهـا الـعـقـلُ مـسـتـقـريًا ... فـيـرعـى الأكـاذيـب مـسـتـمـرئـا

أرجـى شـفـاءً ومــيــعـاده ... إذا أنـا شـارفـتـه أرجـــئَـا

وإن الـشـــبـابَ كـــثـوبٍ ولـكـن ... إذا مـــا تـخـرَّقَ لـن يُـرفـأ

هـو الـعـزم سـيـفٌ إذا لـم يـثـلُـمْـهُ ... ضـربٌ فـــلا بـدَّ أن يـصـدأ

لـو أنـى طـلـبـت عـلـوًّا لـمـــا ... رضـيـتُ لـنـعلـى الـسـهـى مـوطئَـا

ولكن رأيـتُ القـنـاعـةَ فى الـــعـيـش أروح للقـلـب بـل أهـنـأ

فـضـيَّـعـتُ هـذى وذاك ورحـــتُ أفـتـش عـن غـرض خُـبِّـئَـا

ومــا غـرضُ الـنـفس إلا الـقـريـبُ ... ســواءً أأجـــمـل أم جُـزئَـا

يناصبها الحرب يومًا فيومًا ويوردها الحتف آنًا وآ ...
وما السرُّ في نيل ما أنت تطلب في العمر إلا بأن تجرأ
فزعتُ إلى الليل مما أرى وقد فزع الليلُ مما رأى
إذا أنا أضوتني الداجياتُ رأيتُ الدياجي لي أضوأ
وأشقى البرية مثلي طريدٌ يكونُ الظلامُ له ملجأ
أراجعةٌ في الزمان أماني الحياة ومدنية ما نأى
وهبه دنا إنَّ بعض الشراب يغادر شاربَه أظمأ
أيا رب ذا الكون حرف من اسمك لكنما اسمك لن يقرأ
تعامى على مقلٍ لو رأت لكادت من النور أن تفقأ
ولم تزغ العينُ لكنها أرادت عن القلب أن تدرأ
ومن بهر النورُ ما جرَّ ذنبًا ولا عُدَّ في عمره مخطئا
ربأتُ بنفسي عن أن تضلَّ ومن لي بنفسي أن أربأ
وأحببتُ عمري على أي حالٍ فناءً سريعًا يُرى مبطئا
وهمًّا ينازعني راحتي وبؤسًا يُرى إلا حسن الأسوأ
لقد زهدتني الحوادثُ في حياتي فأسلمتُها مُبْرئا
ولم أُلفَ يومًا أسيفًا لأني صحبتُكَ يا دهرُ مستهزئا
والزمني الصمتَ أن المعيدَ إن هو إلاَّ الذي أبدأ

٢١ أبريل سنة ١٩٢٠

* * *

الوَردةُ والأمــل

تُشــبــه الوردةُ فى أَشـواكــهــا أمــلاً يـنبـتُ بـيــن الحـادثـاتْ

يُعـقـد الكمُّ فـيـسـقـيـه الندى ويـغـذيـه التـرابُ الحـاضــنُ

ويواليـه الضـحى نـوراً كـمـا تبـعـد الأَوضـارَ عنه النسـمـاتْ

فـإذا مـا فـتَّـح الكمُّ بـدا فى مـحـيـا الروض خدٌّ فـاتنُ

* * *

هـكـذا فى النفـس يبـدو أَمـلٌ بعـد أن تـشـتـدَّ فـيـهـا النكبـاتُ

يـطـرد الـهـمَّ بـلـطـف دائـبًـا وبـه يقـوى الضـعـيفُ الواهـنُ

مـثـل خـيـط الفـجـر يبـدو نـورُه ثـم ينـمـو ثـم يجـلـو الظـلـمـاتْ

فـإذا الصـبـح ومـا فى الصـبـح من راحـةٍ فــالقـلـب سـاجٍ آمـنُ

* * *

ويـظـل الـوردُ فـى روضـتـه باسـمًـا يُـبـلـى على الطـيـر الغنـا

ويُـسَـرِّى كـلَّ هـمٍّ شـكـلـه بـهـجٌ لـونًـا يـقـر الأعـيـنـا

طـاهـر يـوحـى إلـى القـلـب شـذًا كـان طـهـراً ثـم مـنـه فـقـدا

* * *

وكــذاك النفس في راحــتــهــا لا يدانيـهــا اضــطـرابٌ وقــلقْ

تفــعـلُ الخـيــر لفــعل الخـيــر لا للـمــبــاهــاة بــه يـوم الـسـبـقْ

وتــوالـي بــســمـــات كـلـهـــا أرجٌ بــاق وإن طـــال المــــدى

٣ مايو سنة ١٩٢٠

* * *

الطَّائر والغُصن

ومشبه بالغصن قلبى
« البهاء زهير »

طيرٌ على غصن فى الروض قد وقعا ... إذا شدا راح فى الألحان مبتدعا
موجًا صوتَهُ فى الناسمات كما ... تموَّجَ النور فوق الماءِ فالتمعا
يقرب الفجر بالإنشاد مبتكرًا ... ويبعد الليل بالإنشاد مخترعا
أعير من بهجاتِ الكون أوقعها ... فى النفس لونًا وشكلاً عنده اجتمعا
والغصنُ من سعده ما انفكَّ فى جذل ... يحبوه أوراقَه الخضراءَ مفترعا
ويلتوى لدنوٌّ الماءِ يورده ... ويخرج الثمراتِ الغرَّ مصطنعا
ويحمل الطير مرتاحًا به وإذا ... أبدى الخضوعَ له حبًا فما خضعا
كلٌّ سعيدٌ بما قد نال صاحبه ... هذا بذاك ولا غرم لمن شفعا
لكن رأى الطيرُ يومًا زهرةً فمضى ... وخلَّفَ الغصنَ فى أوراقه جزعا
فأذبلت حسراتُ الغصن نضرتَهُ ... ولم يزل موجسًا فى يأسه فزعا
ويأسه فى غدٍ لا شكَّ قاتله ... على حبيبٍ له ولَّى فما رجعا
ولازم الصمتَ لا يشكو إلى أحدٍ ... وما رأى أحدٌ شيئًا ولا سمعا

٣ مايو سنة ١٩٢٠

* * *

الموعد

نحن تواعدنا بأن نلتقي ... في مقصف يومًا لكي نقصفا
فما أتت عند ولا أرسلت ... عنها اعتذارًا مظهرًا للوفا

* * *

ثم تواعدنا بأن نلتقي ... في روضةٍ زاهرة زاهيه
فما أتت هند ولا أرسلت ... عنها اعتذارًا إنها ناسيه

* * *

ثم تواعدنا بأن نلتقي ... يومًا على الشاطئ عند المساءْ
فما أتت هند ولا أرسلت ... عنها اعتذارًا نافيًا للجفاءْ

* * *

فما تعاتبنا ولا أعتبت ... هند ولم تحفل ولم تشفق
ثم تقاطعنا ومن قبلها ... نحن تواعدنا ولم نلتق

٤ مايو سنة ١٩٢٠

* * *

الفُــؤَاد

بـيــن جنـبــيَّ علـى البــؤس فــؤادُ   مــا انـقــضـى يومًــا لـه فــيـكِ مـرادُ

وإذا يـا هـنـد مـــا طـال البـــعـــادُ   ذبــتُ وجـــداً وأنــا عــنـــكِ أُزادُ

بيــن جنـبـيَّ فـؤادُ

* * *

بـيـــن جـنـبــيَّ فــؤادٌ لــم يــزلْ   كـل حــــيــن منـك يـدنيــهِ أمــلْ

ثـم يقـــصيــه احـــتــرامٌ ووجــلْ   أنتِ قـد أشـقـيــتــه العـمـر فـهـلْ

بيــن جـنـبيك فــؤادُ

* * *

وصـديقٍ فــــيــكِ قــد لام فـــمــا   زادنـى إلا الأسـى والسـقـــمـــا

أنـا يا هـنــد عـــصـيــتُ اللــوَّمــا   ســائـلاً ذاك الـذى لام أمـــــــا

بيــن جنبـيه فــؤادُ

* * *

كلٌّ ما في الحب همٌّ وعنا إن نأى المحبوبُ يومًا أو دنا
فعلى ذا لم أطع فيكِ المنى إنما يا هند رفقًا فأنا

بين جنبيَّ فؤادُ

١٢ مايو سنة ١٩٢٠

* * *

إيضاحٌ

حسبتِ في الهجر أني	لا شكَّ لاقٍ شقاءَ
نعم لقيتُ ولكن	ألبستُه الكبرياءَ
أني سأصبر حتى	لا أُشمتَ الأعداءَ

* * *

حسبتِ في الهجر أني	لا شكَّ باقٍ رقيقا
نعم بقيتُ ولكن	فككتُ قيداً وثيقا
قد كنتُ حراً أسيراً	فصرتُ عبداً طليقا

* * *

حسبتِ في الهجر أني	لا شك فاقدُ لبي
نعم فقدتُ ولكن	وجدتُ عقلي وربي
ما كنتُ أملكُ إلاَّ	قلبي وما مات قلبي

٢ يونيو سنة ١٩٢٠

* * *

واجبُ التهنئة

إلى صاحب العزة جبرائيل بك شيبوب

بمناسبة الإنعام عليه بالرتبة الثانية

لم تأت معليةً مقامَك أنه ... من قبلها بين البرية عالِ

لكنما هي رتبةٌ قد زَيَّنت ... عمراً زها بجلائل الأعمال

هذى حياتك في استقامة سيرها ... ونشاطها في الخلق خير مثال

حفلت بكل فضيلة ومبرة ... فسمت من العياءِ أوج كمال

أنت العصاميٌّ الذى ضمنت له ... عزماتُه في العمر كل منال

إذ أنت أول ما نشأتَ مجاهداً ... بنزاهة الأقوال والأفعال

والعيشُ حربٌ لا ينال رغيدَه ... إلا معدٌّ عزيمة الأبطال

من نيةٍ صدقَتْ وحسن سريرة ... طهرت وطيِّبِ سمعةٍ وخصال

تتدبر الدنيا بعقل واضح ... كالنجم زاهٍ نوره المتلالى

ومناقبِ الخلق الكريم كأنها ... زهر الربيع يفوح فى الآصال

هذى المحامدُ أبلغتك مناصبًا ... ما أُنشئت إلاَّ لبعض رجال

للَّه أنت أبًا يبر بولده ... وبزوجه من طاهر الأذيال

قد أنجبت خيرَ البنين عقيلةٌ لك شابهتك برائعات خلال

وكذا السعادةُ أن تعيش ممتَّعًا بوفاءِ أولاد وذات جمال

ويكون ما قد نلتَه من رتبةٍ شرفًا يُشار به إلى الأفضال

فاسعد بأسرتك الحبيبة محرزًا مجدًا يحقق أكبر الآمال

واقبل تهانئَ كل قلب مخلص يدعو لكى تبقى بأنعم بال

٢ يونيو سنة ١٩٢٠

* * *

الشّاكي

إني لزمتْكِ مثلما — لزم الحَمامُ أليفهُ
ولقيتُ منكِ تجنُّبًا — حمل الفؤادُ عنيفَهُ
ففصلتُ عن قلبي هوا — كِ ثقيلَه وخفيفه
فإذا بليل اليأس قد — أرخى علىَّ سجوفه
فثويتُ فيه نادبًا — عمراً حببتُ صروفه
كالأمّ تندب طفلها — والموتُ صار حليفه
إني وهبتُك ما ملكتُ تليده وطريفه
وحببتك الحبَّ الذى — لا تفهمين نحيفه
ولقيتُ منكِ تجنبًا — حمل الفؤاد عنيفه
لما لزمتْكِ مثلما — لزم الحَمامُ أليفَه

* * *

الريح قد نامت على — موج البحار الهاديهْ
والزهر أطبقت الدجى — أجفانه المتراخيه
نفرت نجومُ الليل وهي إلى المجرة ظاميه
فتناكرت بين الغصون — لحاظهنَّ الساهيه

وتطايرت في الروض أشباحُ النفوس الساريه

إن المياه أنينها ذوب العواطف جاريه

وكأنما هذى وتلك على حبيبٍ باكيه

ويزيد نيرانَ الأسى أن الطبيعة ساجيه

والزهر أطبقت الدجى أجفانه المتراخيه

والريح قد نامت على موج البحار الهاديه

* * *

يا من يساعدني على به الشكاية والجوى

ألِلّهَ في القلب الذى لعبت بع أيدى الهوى

كالنجم يهوى مشرقًا والغصن يقصفه الهوا

واهًا لهذا الغصن في شرخ الشبيبة قد ذوى

واهًا لذاك النجم إذ لم يرتفع حتى هوى

أَمَلي ويأسي في الحيا ة كلاهما عندى سوا

القربُ أَشقاني لذاك عليه آثرتُ النوى

قلبي من الأحزان في ليل المصائب قد ثوى

اللّهَ في القلب الذى لعبت به أيدى الهوى

يا من يساعدني على بث الشكاية والجوى

١٢ أغسطس سنة ١٩٢٠

* * *

الشّاتم

نالني بالسوءِ من أعرفه ... أنه بالسوءِ فاشٍ خبرُهْ

يا دميمًا شُوِّهَتْ خلقتُه ... فغدا يجرح عيني منظره

ولئيمًا فسدت جبلته ... وتوالي بالمخازي محضره

ليس ماضيكَ الذي نعرفه ... بالذي يُمْحَى سريعًا أثره

عُدْ إليه واحتجب عنا فقد ... كاد أن يعلق فينا شرره

. . . .

أبلَغوني أنه يشتمني ... أبلِغوه أنني أحتقره

أكتوبر سنة ١٩٢٠

* * *

الخـــائن

إلى صديق خانه صديق له

عـزاءَك إن خـان الصـفيُّ المنـافقُ ... فـأكـثـر من تلقـاه خِـبٌّ ممـاذقُ

تنـاكـرت الدنيـا عليـكَ وربمـا ... تسـاوى بها فى العين خابٍ وشارق

فـلا تبـتـئس إن الحـيـاة خـيـانـة ... لهـا طُرُقٌ مـعـروفـة وطـرائق

فـربَّـتَـمـا خـان اللسـانُ فـؤاده ... وخـان دمٌ بـيـن الجـوانـح دافـق

وخان الضياءُ العينَ والضوءُ واضحٌ ... وخـان اللسـانَ النطـقُ والفم ناطـق

تصاحب هذى الروح ذا الجسم خدعةً ... ترافـقـه يـومـيـن ثـم تفـارق

وتنبـذه حـتى كـأن لم يعش بهـا ... فـيـنـكره أولاده والشـقـائـق

عـزاءَك بعض النـاس أدنى مكـانـةً ... فِـلِـمْ أنت مما بـرَّح الوجـدُ فـارق

جزعتَ على عـهـدٍ مضى فى إخائه ... ضـيـاعًـا توالى ودُّه وتصـادق

فـأكـثر هذا الخلق تفنى حـيـاتهم ... ضـيـاعًا وكم راحت ضيـاعًا خلائق

أطـلْ وترفَّـع عن عـتـابٍ يَـمَـسُّـهُ ... كـمـا يتـعـالى الماءُ والصخر حـانق

إذا كـان حـرًا فـاعـترافٌ بذنبـه ... وإن كـان عـبـدًا خَـلِّـه وهـو آبـق [1]

---

(١) أبق العبد هرب .

فماذا ترجّى منه بعد فضيحةٍ ... أراد بها فتق الذى أنت راتق

ولم تكُ هذى منه أول مرةٍ ... ولكن جرت من قبل هذى سوابق

فداريتَه دهراً فزاد لجاجةً ... وما أنت منه أن يُعاودَ واثق

ففيم ولِمْ تلك المداراةُ إنما ... يُدارى أخٌ مثلى لمثلك صادق

ولِمْ أنت تأسى والسماءُ منيرة ... وهذا خريفٌ طيب وحدائق

وطير تغنى في الغصون سعادةً ... وزهرٌ وإثمار ودوحٌ بواسق

وأنت سليمٌ واسع الجاه منعمٌ ... ومن أنت تهواه قريبٌ موافق

توقّع هدى تلك القطيعة إنها ... بشيرٌ بأن الخير لا شك غادق

١ نوفمبر سنة ١٩٢٠

* * *

لـــو ...

هدية الفن إلى الصديق الشاعر العربى صالح المصرى

لو أنّ لى الأرض والسماءَ   عفتُهما فى سبيل نظره

أرضى بها فى الهوى رجاءَ   أحيا به والحياة فتره

* * *

لو كنتُ أرضًا نفحتُ طيبا   ينعشه نائيًا قريبا

وكل ما شاءَه عجيبا

أخرجتُه زاهيًا ليرضى

لو كنت أرضا

* * *

لو كنت روضًا زدتُ زهورا [1]   يحسبها فى الجنان حورا

وسلتُ ماءً يروى الطيورا

وهى تروض الألحان روضا

لو كنت أرضا

---

(١) قال أمام المحققين الشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلد السنة الرابعة من مجلة الضياء صفحة ٤٠١ ما نصه : « الظاهر أن جمع زهر على زهور لا يمتنع لأنه القياس الغالب فى جمع فعل بفتح فسكون مثل قلب وقلوب ، وقد ورد مجموعًا كذلك فى كلام كثير من كبراء أهل الأدب » . ثم أورد الشيخ شواهد لابن الرومى والحائك الأمى والشيخ عبد الغنى النابلسى وابن حجة الحموى والمسعودى وأبى الفداء.

لو كنتُ زهراً نظمتُ تاجا   لرأسه يشرق ابنهاجا

ولحتُ تبراً ولحتُ عاجا

أنفثُ في الناظرى سحرا

لو كنت زهرا

* * *

لو كنتُ غصنًا رقصتُ تيها   حتى يرانى غرًّا نزيها

عساه يدنو منى بديها

يبصر أنى رقصتُ حزنا

لو كنت غصنا

* * *

لو كنتُ طيراً أنشدتُ لحنا   يهزُّ منه شوقًا وحزنا

لعلَّه إن صبا وحنا

أصيب منه غنما وخيرا

لو كنت طيرا

* * *

لو كنتُ حقلاً فرشتُ عشبًا   يلين وطئًا له وعجبا

وزدتُ كلَّ النبات خصبا

فيه يلاقى أهلاً وسهلا

لو كنت حقلا

* * *

لو كنتُ طوداً صدَّع رأسي سقمي منه وهدَّ بأسي

لو كان يدرى الذى أُقاسى

لعادني فى السقام عودا

لو كنت طودا

* * *

لو كنتُ ماءَ لمعتُ آلا أسقيه سلسالى الزلالا

إن انتشى ينثنى دلالا

يزيدنى فى الهوى ظماءَ

لو كنت ماءَ

* * *

لو كنتُ نهراً جريتُ أبهى من كان نورٍ ماءً وأزهى

إذا أتانى قبَّلت وجها

يراه فى الماءِ مستقراً

لو كنت نهرا

* * *

لو كنتُ بحراً ثُرتُ حزينا أُسمعه البثَّ والأنينا

مجاملاً رقة ولينا

وكيف لى أن ألين صخرا

لو كنتُ بحرا

* * *

لو كنتُ ريحًا ضممتُ قدًا   له وداعبته مُجِدًا

مبرّدًا من هواى وقدا

عساى أُشفى لأستريحا

لو كنتُ ريحا

* * *

لو كنتُ أُفقًا لحتُ عقيقا   شعاعه يسكب الرحيقا

وهو دمى عنده أُريقا

عسى يوالى عطفًا ورفقا

لو كنتُ أُفقا

* * *

لو كنتُ برجًا لكان شمسى   ونجمَ سعدى وبدرَ أنسى

وكان يومى وكان أمسى

فهل غدىً عنده يرجًّى

لو كنتُ برجا

* * *

لو كنتُ شمسًا أضرمتُ نارا   تبعثُ فى قلبه الأُوارا

مخالسًا روحَه سَرارا

أُنبتُ فيها للحب غرسا

لو كنتُ شمسا

* * *

لو كنتُ بدراً بقيتُ تَمَّا حتى يُسَرّى مرآى غمَّا

عنه واحنو عليه أمَّا

أُلبسه النور مُسْبِطِراً

لو كنتُ بدرا

* * *

لو كنتُ نجمًا ثبتُّ لحظا يحرسه في الدجى ويحظى

بحسنه والعيون يقظى

غَيْرَى بكحل السهاد تدمى

لو كنتُ نجما

* * *

لو كنتُ لو كنتُ والأماني خوادع كلها يفوتُ

نعيش في الخوف والأمان وإنما في غدٍ نموتُ

١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠

* * *

المنَى والشِّعر

تملأُ الذكرى فؤادى حرقاتٍ تتوقدْ

فأرى الماضيَ ليلاً تحتع الأقوام رقَّد

ما به إلا فؤادى هائمٌ فيه مسهد

تابعٌ ظلاً خيالا تٍ على الافاق شرد

كشعاع النور نفًا ذًا إلى الغيم الملبد

أنا قد أعطيتُ ماضيً منًى لا تتعدد

غرراً مثل الدرا رىٌ أو الدر المنضد

تلك أحلامُ شبابى غالها الماضى وأقصد

كلها ميتٌ صريع الـ ـيأس فى قفرٍ ممدد

كنَّ ينطفنَ (1) حياة فغدونَ اليوم جلمد

أنا إن أبكِ كثيراً ينضب الدمع وينفد

فلذا أذخر منه بعضَه يسعف فى الغد

---

(1) نطف الماء سال .

إن أقس آتيَّ بالماضي فكل العمر أسود

فعلى ذا أنا أبكي وعلى ذا أتنهد

أنظم الشعرَ سلواً لهمومٍ تتجدَّد

كل لفظٍ دمعةٌ تجري على عمري المبدَّد

كل حرفٍ قطرةٌ من دم قلبي تتفصَّد

كل معنًى حرقة الأنفاس من صدري تصعَّد

هكذا اليومَ إلى الدهر بشعري أتودَّد

٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠

* * *

الفهرس

المراجعة اللغوية : نشأت باخوم
الإشـراف الفـني : هشـام نـوار

يعد خليل شيبوب رائدًا من رواد المدرسة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، وهي المدرسة التي خلفت مدرسة الإحياء (البعث)، والتي بقيت امتداداتها على طول الزمان، ممثلة في شعراء كثيرين يفضلون التطور والتجديد في الشعر. إن خليل شيبوب يفهم الشعر فهمًا رومانسيًا أيضًا، فهو يقول الشعر للتعبير عن خلجات نفسه حيث يرضيها بما يجدد نشاطها، ويعبر عن روحه في بهجتها وأفراحها أو في همومها وأحزانها، فالشعر عنده - كما قال ميخائيل نعيمة - قوة حيوية، قوة مبدعة، قوة مندفعة دائمًا إلى الأمام.

لقد دعا شيبوب إلى التجديد في بناء القصيدة العربية الحديثة، حيث دعا إلى الوحدة العضوية، وهي الوحدة التي تجعل القصيدة كلها دفقة شعورية وتصويرًا للحظة شعورية محددة، وتجعل منها كلاً مترابطًا قد صبغه لون شعوري ونفسي وروحي معين، مما يؤدي إلى توافر التجربة الشعورية الصادقة، وتصبح الصورة الشعرية- كما يرى كولريدج - معيارًا للعبقرية حين تشكلها عاطفة سائدة أو مجموعة من الأفكار والصور المترابطة أثارتها عاطفة سائدة، وحينما تتحول فيها الفكرة والوحدة والتتالي إلى لحظة واحدة، وحينما يضفي عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية.

الغلاف : هشام نوار

